المشرق

اغتذاء النبات

اصل المادَّة النباتيــة *

لجناب الكاتب الفاضل سليم افندي اصفر

يتركَّب الملك الآليّ في الطبيعة من العناصر التي يتألف منهـا الملك المدنيّ فاذا حلَّلت النبات والجماد وجدت لها اجساماً بسيطة متشابهة اعني عناصر معدنيَّة او شبيهة بالمعدنيَّة (métalloïdes). ومن بحث عن اسرار الطبيعة يرى فيها نظاماً عجيباً او بالحري دوراً متناسقاً يشهد بحكمة الخالق وتدبيره الجميل فان الحياة تستعير موادّها التي بها قوامُها من المعادن ثمَّ لا تلبث ان تردَّ لها العارية. والمعدن هو اصل هذه الحركة الطبيعيَّة فانَّ قوى النبات تعمل فيه فتستخلص منهُ ما تحتاج اليه وتدخلهُ في تركيب جوهرها الحي حتى اذا نالت حاجتهـا اعادتهُ الى عالم الجماد فيتمّ بذلك هذا التبادل العجيب بين المملكتين الطبيعيَّتين دون ان يُفقـد في عالم الكون شيء من العناصر الكيموية التي خلقها الله في البدء.

هذا ولا ننكر ان اصناف النبات التي يبلغ عددها ٢٠٠٠٠٠ نوع على ما يرويه ارباب الطبيعة لمختلفةٌ جدًّا في تراكيبها وهيئاتها وخواصها. فترى منها ما يتسمو ويزكو فيصير اشجاراً كبرى باسقة الاغصان ممتدّة الافنان عديدة الاشكال ومنها ما هو غاية في الصغر والدقَّة لا تكاد العـين تميزهُ مع تعدُّد اجناسهِ. فبعضها لا غنًى عنهُ للغذاء

* هذه الكتب التي استندنا اليها في مقالتنا: E. Gain : *Chimie agricole* — A. Muntz et A. Ch. Girard : *les Engrais*, t. I — Schloesing : *Chimie agricole* — Emile Garnier : *une révolution agricole*.

البهيمة والانسان وبعضها يُستخرج منهُ ضروب الزيوت والسموم الناقعة. لكن لهذه النباتات المتباينة الاشكال المتنافية الخواص جامعاً يجمعها ألا وهو تركيبها الكيميوي فاذا تبيَّنتهُ وجدت انَّ هذه الاختلافات انما هي في الظاهر فقط. اما عناصر الأنبتة التي يتألف منها الارز الفخيم او الاقحوان الوسيم. البُرّ الغاذي او الشوكران القاتل. الخرخ الطيّب او اللفّاح المُنيم فهي هي في كلها كدى نسيج واحد او كجبلة عجين فرد. وان سأل سائل أنى لها هذا الاختلاف العظيم والفرق الجسيم؟ أجبنا انما ذلك يتأتى لها من اصل هذه العناصر التي تدخل فيها او من طبائعها ونظام دقائقها واختلاف نسب بعضها الى بعض بالكم والكيف

ولكن يا تُرى ما هي هذه العناصر الاوليَّة التي لا بدَّ من الرجوع اليها عند بيان عمل النبات وخواصهِ العجيبة. هذا سؤال نجيب عليهِ في ما يأتي

عناصر النبات الضرورية

اعرضْ نباتاً على النار ليحترق فترى للحال البخرة تتصاعد منهُ على هيئة الغاز او الدخان. فاذا بحثت عن هذه الابخرة وجدتَ فيها خلطاً من الكربون والهيدروجين والاكسيجين والازوت. فهذه العناصر الاربعة تدخل في النبات بنسبة ٩٠ في المئة وهي تُدعى العناصر الآليَّة وتكون في النبات على تراكيب لا تُحصى. وما يبقى منها بعد احتراقها انما هو راسب مُجمَّم يدعى رماداً وهو قسم النبات غير الآلي. واذا حللت هذا الراسب وجدت فيهِ اركاناً عشرة معدنيَّة امتصَّها النبات من التربة وهي: البوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم والمغنيسيوم والحديد والمنغنيسا والفسفور والكبريت والسيليسيوم والكلور. وهذه المعادن مع قلتها لا يستغني عنها النبات لحياكة انسجتهِ العجيبة!

فترى مما تقدَّم انَّ الانبتة لا تحتوي على اكثر من اربعة عشر عنصراً او جسماً بسيطاً. واعلم انَّ هذه الاركان لا ينفصل بعضها عن بعض بتةً فمنها لُحمة كل نبات لا يقوم الّا بها ولا يحتاج الى غيرها. اما كميَّتها في كل فصيلة من فصائل النبات فهي كثيرة الاختلاف. وربَّما حصل هذا الاختلاف من تركيب التربة التي فيها ينبت النبات. مثال ذلك انَّ المادَّة الصوَّانية تغلب على تبن الحبوب. فرماد القمح يتضمن منها ٧٠ في المئة. اما الحامض الفسفوري فكثرتهُ في جذور الشجر وتلقاهُ ايضاً في الحبوب على هيئة الفُسفات. فمنهُ فيها من ٤ اقسام الى ٨ في المئة اللهمَّ الّا بعض انواعها كالانبتة

المعادن في رماد الحشيش منهـا في رماد الشجر . واقسام الشجر نفسها تختلف في كمّية المعادن فان كمّية المعادن في اقسامها الخشبية اكثر منها في قشرها

مصدر العناصر النباتية

لا يخفى ان للنبات حياتين جوّية وارضية فترى رأسهُ واغصانهُ وساقهُ ممتـدة في الجوّ امّا جذورهُ فتغوص في التربة وتنبسط تحت الارض . وذلك لينال النبات من الجوّ والتربة معًا ما يحتاج اليهِ لقوام حياته وتركيب أنسجته . وهذه العناصر التي لا يستغني عنها النبات يجدها في الهواء والماء والتربة فهذه الثلاثة الاركان تقرّب اليهِ مادّة حياته اي عناصرهُ الآلية والمعدنية

مصدر العناصر الآلية في النبات

قلنا انَّ العناصر الآلية الداخلة في جوهر النبات اربعة الاكسيجين والهيدروجين والكربون والازوت . وهاك مصدرها :

١ (مصدر الاكسيجين في النبات) يستمدُّ النبات ما يلزمهُ من الاكسيجين من الهواء . والنبـات كما الحيوان لا يعيش دون الاكسيجين الصرف غير الداخل في تركيب الاجسام فاذا حُرمهُ يبس ومات . نتول ذلك اجمالًا لانَّ بعض الانبتة كخميرة البيرة يمكنها ان تعيش زمنًا طويلًا دون الاكسيجين الصرف . فيصيبها اذ ذاك في موادّها السكّرية تغيير يُدعى اختمارًا . والنبات يستخرج ايضًا قسمًا من الاكسيجين من الحامض الكربوني او من الماء المركّب من الاكسيجين والهيدروجين بنسبـة ٨/٩ . واكثر ما يحتاج النبات الى الاكسيجين في وقت ذرّ الحبوب وطلوعهـا . ولذلك ترى التربة التي لا ينفذ فيها الهواء تهلك حبوبها وتفسد

٢ (الهيدروجين في النبات) النبات يمتصّ الهيدروجين من الماء ولا يتخذهُ من حالتهِ النازيّة الصرفـة . ويمكنهُ ايضًا ان يستخلصهُ من الامونياك لانَّ ثلث الامونياك بثقلهِ يتركّب من الهيدروجين

٣ (كربون النبات) مصدرهُ الاول من الهواء وذلك انَّ ورق الشجر اذا اصابتهُ اشعة الشمس امتصَّ الحامض الكربوني المنبث في الهواء . ومصدرهُ الثاني من التربة لانَّ الارض تحتوي عدّة موانع وغازات يدخل فيها الكربون فاذا امتصَّ النبـات من التربة بجذورهِ الحلولات الملحيّة اكتسب ايضًا شيئًا من الحامض الكربونيك المنتج بها .

لكن هذا القسم لا ينفع النبـات الّا عند بلوغهِ الورق فتعمل فيهِ اشعة الشمس بقوَّة المادَّة اللوّنة المعروفة بالكلوروفيل (chlorophylle)

فمن ثمَّ ترى اننا بامتزاج الماء بالهواء نحصل على اصناف من المركّبات الآليَّـة التي تختلف في تركيبها وهيئاتهـا اختلافاً كليًّا. فمن هذا الامتزاج يتولَّد السكّر في الاثمار والشمندر. والنشأ في القمح والقلقاس. والمادَّة الدبغيَّة في العفص. والراتينج في الصنوبر الى غير ذلك من المفاعيل العجيبة التي تظهر لنا في النبات

ولا يظن الزارع انَّ النبات اذا اجتذب هذه العناصر اي الكربون والهيدروجين والاكسيجين يُفقِر التربة بذلك. كلاَّ لان الخالق قد وفّر هذه الاركان في الطبيعة ليتال منها النبات مل. حاجتهِ. وفي الجوّ خزانة غنيَّة بهذه الاجسام فيهـا ما يكفي لغذاء النبات مدَّة سنين بل الوف من السنين دون ان نتكلَّف لذلك همًّا ما. ومن اراد تسميد ارضهِ فليفعل ولا يصرف همَّهُ الى هذه العناصر الثلاثة

٤ (الازوت في النبات) هو رابع العناصر الآلية التي يحتاج اليهـا النبات. والازوت في الطبيعة أوفر من غيرهِ من العناصر. وكميَّتهُ في الجوّ تبلغ اربعـة اخماسهِ. ولكنَّ النبـات لا يمكنهُ ان ينتفع بهِ توًّا إلّم يستخرجهُ من الموادّ الازوتية الموجودة في التربة

كان النباتيون يعتبرون ازوت الجوّ قبل سنين قلائل كعنصر لا نفع منهُ للنبات. وقد كذَّبت اختبارات العلماء الحديثة هذا الظنَّ وبيَّنت جليًّا انَّ للازوت الجويّ عملاً متَّصلاً. وذلك انهُ يدخل في تركيب انسجة كثير من انواع الميكروب التي تشغل التربة وتسكن في اصول البقول. ولولا هذه الميكروبات لما تمكَّنت البقول من النموّ في الاراضي الخالية من الازوت. وربَّما غنيت الاراضي بهذا العنصر بعد افتقارها لوجود هذه الميكروبات النافعة وقد اصلح ارباب الفلاحة بهذه الواسطة اراضي بائرة لم تأتِ من ذي قبل بغلَّة تُذكر (١

وان سألنا القارئ كيف استطاع العلماء ان يكتشفوا هذه الاسرار المكنونة ؟ أجبنا ان الاساتذة المشاهير برتلو (Berthelot) وهلريغل (Hellriegel) وويلفرث (Wilfarth)

---

(١) راجع تأليف العلَّامة غان (Gain) في الكيميا الفلاحة ص ٢١ و ٢٢

لحظرا في اصول البقول ما ينجم فيها من البثور واشباه النفّاخات ففحصوها فحصاً مدقّقاً فوجدوها اجساماً آليّة تفعل في النبات فعل الخميرة في العجين فتنقل اليه ازوت الجوّ وتثبته فيه. وهذا القول مُجمل يحتمل بعض الشذوذ فان الترمس مثلاً يخرج عن هذه القاعدة كما بيّن ذلك حديثاً الاستاذان فرنك (Franck) وستوكلاسا (Stoklassa) من معلّمي كليّة پراغ (١)

هذا وان النبات يجد في التربة ثلاثة مخازن تحتوي على الازوت يستخلصهُ منها: الاول هي نفايات الاجسام الآلية سواء كانت نباتية او حيوانيّة. والثاني هي اصناف ملح النوشادر المعروفة بالاملاح الامونيكية. والثالث هي المركّبات النطرونية (nitrates) الناتجة عن تحولات الازوت الآلي. لكنّ هذه المركبات لا تفيد النبات الّا بعد تحوّلها الى احدى الحالتين الاوليّين اي بعد ان يدخلا في حيز المعدنيّات

مصدر العناصر الاولية

مستودع الاجسام المعدنيّة انما هي التربة والبارئ عزّ وجلّ قد بثّ هذه المعادن في الارض على مقتضى سُنن حكمته فنالت بعض البلاد منها كميّة اوفر وبعضها اقلّ. امّا النبات فانهُ يجتذب اليه هذه المعادن بواسطة جذوره اذا وجدها مهيّأة لقوام حياته: فانهُ يستخلص من التربة الفسفور والكبريت والسيليسيوم بامتصاصه الحوامض الفسفوريّ والكبريتي والسيليسي. ويمتص البوطاسا والصودا من مركباتهما مع الاكسيجين او الكلور. امّا الحديد والزنك والمنغنيسا فمن المركّبات الاوكسيديّة

وغاية شغل الفلاحة ان تهيّئ النبات حاجتهُ من هذه المعادن لانّ بعض التُرَب مفتقرة اليها او اذا وُجدت فيها لا يستطيع النبات ان يُحيلها الى جوهره. فعلى ارباب الفلاحة ان يسدوا هذا الخلل بما يلقونهُ في الارض من السماد

العناصر الاربعة عشر ومنشؤها

اذا عمدتَ الى اناء من الخزف لا تنفذ فيه الموائع وملأتهُ من الزجاج المدقوق او من الرمل المحمى باجيج النار (اي من السيليس الخالص) ثمّ زرعت في هذه التربة بعد سقيها بماء مقطّر عشرين حبّة من القمح ثقلها المتوسط غرامٌ أترى تنال من زريعتك غلّة؟

---

(١) راجع مقالة حسنة للعالم الكبير دهيرين (Dehérain) في مجلة العلوم السنوية (عدد كانون الثاني ١٨٩٩)

بلا مراء لكنَّ هذه الغلة تزرة لا يُعبأ بها. فان ساق السنبل يكون اشبه بمسلَّة يبلغ طولهُ ٢٥ سنتيمترًا. وكذلك طول السنبل لا يتجاوز سنتيمترًا واحدًا وتكون الحبوب فيهِ قليلة ضئيلة جدًا. ومع كل ذلك تكون الغلَّة اوفر من الزوع فتبلغ خمسة غرامات او ستَّة. فهذا دليل على انَّ النبات ينال من الهواء والماء غذاءً فيأتي بثمرةٍ ما

ثمَّ أضف الى التربة شيئًا من الفحم تجد انَّ الغلة لا تزيد على الغلة السابقة ولكن ان فحصت القمح ترى فيهِ من ٤٥ قسمًا الى ٥٠ في المئة من الكربون اي الفحم. فكيف يا تُرى دخل الفحم في جوهرهِ مع انَّ الكربون اذا خُلط بتربةٍ ليس لهُ عمل فيها. أفليس ذلك دليلًا على ان السنبل امتصَّ الحامض الكربوني من الجوّ بعد تحول الكربون المجاور لهُ الى هذا الحامض

اجعل الآن في تربة الاناء المعادن العشرة التي ذكرناها المتضمنة في رماد النبات بعد احتراقهِ. وزِن الغلة تجد انَّها زادت فصارت ٨ غرامات. ومع هذه الزيادة لا تزال الغلَّة ضعيفة تزرة. والنتيجة من هذا الاختبار انَّ النبات يمكنهُ ان يعيش وينمو اذا زُرع في تربة تحتوي على ١٣ عنصرًا بدلًا من ١٤ ولكن ليس نموهُ تامًّا موفورًا

امَّا اذا زدتَ عوضًا عن المعادن العشرة السابقة العنصر الآلي الرابع وهو الازوت فللحال يزكو الزرع وينتعش فيرتفع ساقهُ وتمتدّ اوراقهُ وتخضرُّ ألوانهُ وتزيد غلتهُ فتصير تسعة غرامات. فيظهر من ثمَّ صريحًا ان للازوت فعلًا طيبًا في الحياة النباتيَّة

اختم الآن هذه الاختبارات بان تجمع بين الازوت والمعادن العشرة في تربة الاناء. فترى انَّ القمح ينمو هنالك نموهُ في اجود التُّرب واكثرها غلة. فيكون طول ساق السنبل اكثر من متر وطول السنبلة من خمسة سنتيمترات الى ستَّة. وكأنَّها ملأى بالحبوب فتأتي الغلة بثلاثين غرامًا على الاقلّ ولعلَّها تتجاوز الخمسين

وخلاصة هذه الاختبارات كلها انَّهُ لا بُدَّ لكلّ أفراد النَّبات من ١٤ عنصرًا لتمام نشأته واستقلالهِ. ولكن كثيرًا من هذه العناصر يجدها النبات دون مساعدة الانسان فيحصل على الثلاثة العناصر الآليَّة اي الكربون والهيدروجين والاكسيجين من الجوّ. وكذلك لا حاجة للفلاح (ما لم تكن ارضهُ ومليَّة محروقة بالتكليس) ان يهيئ للتربة الصودا والمغنيسيا والكلور والسيليس والحديد والكبريت لانَّ كل تربة طبيعيَّة تحتوي منها ما يكفي للنبات

فيبقى اربعة عناصر يقتضي على الزارع ان يهيئها للنبات واحدٌ منها هو عنصر آلي وهو الازوت والثلاثة الأخرى معدنيَّة وهي الحامض الفسفوري والبوطاسا والكلس فاذا اهملها الفلاح ضعفت تربتهُ وبارت ارضهُ بعد حين وتلفت

عزاء لجنائز العلماء

من تأليف مار اليَّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحليم

سعى بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في المشرق (٣: ٢١٧) ابن الحديثي وتراجمهُ البليغة. ولم نذكر هناك تأليفًا لهُ آخر وهو كتاب الجنازات ضمَّنهُ عدَّة خطب بديعة تعلَّة بالسجع المطبوع تُقال على الاموات على اختلاف طبقاتهم من جثالقة وكهنة وعلماء ومؤمنين. وهذا المجموع استنسخناه في الموصل عن نسخة هدانا اليها حضرة الاب الفاضل بطرس نصري الكلداني الموصلي فاخترنا منها هذه الخطبة بنية وقوع تذكار الموتى في ثاني يوم من تشرين الثاني. ثمَّ اطلعنا على نسخة ثانية من هذه الخطبة محفوظة في كتاب قديم اعارنا اياهُ جناب الوجيه الفاضل بشاره افندي يارد. فقابلنا بين النسختين مبالغةً في الضبط وآلفنا بينهما تتمَّة للفائدة ل. ش

الحمد لله الفاخرة نعمتهُ. الغامرة رحمتهُ. الغامضة حكمتهُ. الفائضة عنايتهُ. الظاهرة شفقتهُ. الباهرة عظمتهُ. القادرة عزَّتهُ. القاهرة سطوتهُ. والشكر لله القديم الذي تأخرت عن قدميَّتهِ قدميَّةُ القدماء. العظيم الذي خضعت لعظمتهِ عظمة العظماء. الحكيم الذي حارت في حكمتهِ حكمة الحكماء. العالم الذي عجز عن علمهِ علم العلماء. نحمدهُ معترفين بجميل نعمائهِ. ومعتصمين بجزيل آلائهِ. شاكرين لسرّ نعمهِ. صابرين على ضرّ نقمهِ. ونثني عليهِ حتى تبطل عنَّا حركات اللسان. يومَ تصيدُنا حبائل الاكفان

يا معشر البشر. فجروا ينابيع العبرات فقد آن لها ان تتفجَّر. وشمِّروا ذيول الخطيئات قد أزف لها ان تتشمَّر. الى مَ سيوف الشهوات تحطم رأس افكاركم. وحتى مَ حتوف الزلّات تهدم أرماس اعماركم. أغمدوا صوارم الخطيئات في أغمدة عمل الحسنات. واعمدوا الى رفع عزائم الجهالات عن أعمدة الميل الى الشهوات. أمطروا صفحات الخدود بامطار العبرات. وكرّروا لمحات العقول في وادي الحسرات. وانظروا (١

١) ويروى: وتبصَّروا

دارا وُجودها عدمان. وَجُودها (١ حرمان. صحتها سقمٌ. وفرحتها غمٌ. نورها ظلام. وناره قتام. شهدها مرّ. وقندها (٢ صَبر. بَردها جمر. ورفدها فقر. حقُّها ضلال. وصدقها محال. فيا لها من دار قد سلبت عساكرُ لذّاتها افكار الخلائق. ودنيا قد حجبت سائرُ شهواتها أنوار الحدائق. حتى غرقت في لجة الآثام أفهام البريّة. ومزّقت في مُهج الانام سهام الخطيئة. قد اضحى المحال مخدوعاً بها كأنهُ صدقٌ. ووافى الضلال المطيع لها كأنهُ حقّ. ألا رادع في هذه الورطة لنار الشهوات والارادات. ألا مقدمٌ على الغبطة في دار الخيرات والساعات. ألا مقدمٌ من الهبطة الى المسرات والكرامات

ما للابصار ناظرة وكأنكم لا تبصرون. ما للاسماع سامعة وكأنكم لا تسمعون. ما للاطفال يسلبون وكأنكم راقدون. ما للشبّان يذهبون (٣ وانتم لا تفطنون. ما للشيوخ يذهبون وكأنكم تخلدون. وكبول الموت (٤ وراء ظهركم وانتم لا تلتفتون. وسيوف القضاء تقصم آثاركم وانتم راقدون ولا تستيقظون. كأن الموت قد سافر عن دياركم. هيهات وعساكرهُ واقفة في مواضع آثاركم. اين علاماتُ الإشعار بالغيوب يا ذوي الآذان. ام اين تقليمُ اظفار الذنوب يا اولي الاذهان. اين حسرات الندم. على عثرات القدم. اين المدامع الهاتنة الى الموعظات. ام اين المدامع السانحة على الخطيئات. اين تقاطُر غزارة عبرات الأجفان. لاطفاء حرارة جمرات النيران. الى مَ هذا التماطل والحتى قد وجب. والى متى هذا التماهل والموت قد قرب. ألعلّكم تؤملون الفرار من الحَطب الملمّ. والقلوب منحوتة من الصخر الاصمّ. حيث يقول المطيع للدار الفاجرة: واحيرتاه. والمضيع للدار الآخرة (٥: واحسرتاه. والمبيع بالدنيا للآخرة: واقهرتاه. حيث لا تُسمع حجّة المتندمين. ولا ينفع مال المذّخرين. ولا يمنع (٦ مفرّ الهاربين. فيا فرحة الزارعين يوم حصاد الغلات. ويا بهجة الطائعين حيث اذّخار الحسنات. ويا حسرة الفاسقين اذا خرق (٧ سنانُ الفضائح. ويا حيرة السارقين اذا نطق لسان الجوارح. ويا مَسرّة المتّقين اذا صدق برهان العمل الصالح. يوم يعلم الابرار حقّ مقامهم في دار النعيم. ويفهم الاشرار صدق دوامهم في نار الجحيم. فيا لها رقعةً ما أرقّ أحكام صيارها. وما افرقّ اضطرام جمر نارها. آهًا

---

١) ويروى: وجودها ٢) يريد مكّر القند ٣) اي يُسرعون الى القبر. الشهب الركض. او يُنهبون اي تُنهب اعمارهم ٤) اي قيودهُ جمع كَبْل ولعلّها تصحيف خيول ٥) ويروى: الفاخرة ٦) ويروى: ينجع ٧) ويُروى: احدق

لساعةٍ ما امرَّ الحسرات في جوارها. وما اضرَّ الزفرات في نارها. وما أحرَّ العبرات في قرارها. وما أحلى مذاق اثمارها. وما اشهى أوراق اشجارها. وما اقرَّ الابصار بشريف ازهارها وانوارها. وما أسرَّ الافكار بلطيف اسرارها. لمثل هذه الساعة فليزرع الزارعون. ولمثل هذه الوَقعة فليبذر الجامعون

نبهوا الافكار من رقدة الخطيئة. قبل ان ترقد الابصار الرقدة الابديَّة. تجمَّلوا (١ فهذا سبيلكم. وتحمَّلوا (٢ فقد دنا رحيلكم. كأنكم بروُس أقدامكم وقد لحقت اعقابَ السالفين. وطروس أيامكم وقد التصقت في صحائف الاولين. وكانكم بلحظات الاطراف وقد جمدت. وجمرات الاطراف (٣ وقد بردت. وحركات الاعطاف وقد خمدت. وبالوجوه البهيَّة وقد قتمت. وبالنواظر المضيئة وقد عتمت. وبالاعناق المستقيمة وقد مالت. وبالمحاسن الجميلة وقد استحالت. كانكم بصادم الموت وقد أبرق. وبريق المنون وقد تألق. وبقرب الساعة وقد اقلق. وبجمع الاحباب وقد تفرَّق

وان عتمت عندكم الرزايا. او نسيتم حلول المنايا. فانظروا الى هذه الحادثة المفجعة. وتفكَّروا في هذه المصيبة المقمعة. واعتبروا بما حلَّ عندكم من الرزيَّة. الجديدة الزريَّة. وابصروا من شيَّد ورفع. وبدَّد وجمع. وتاه في الدنيا تيه الخالدين. واجتهد فيها اجتهاد المؤبدين. وحرص في تحصيل الدرهم والدينار. وعمَّر ما دثر من المنازل والديار. وماثل في السماء. رتبة الجوزاء. كيف صالت عليه عساكر القضاء. فأصبح بعد العزَّة غرير العزاء. وعهدي بعد ذلك العزِّ المنيف. والمحلِّ الشريف. وهو يتقلَّب بطنًا وظهرًا. ويتحسَّر سرًّا وجهرًا. وينظر الى المال والاموال شزرًا. يبسط يدهُ اليمنى. ويجمع رجلهُ اليسرى. فلا يقلع جرَّةً (٤ الَّا وفي اثرها أخرى. حتى اذا أبرق يمانيُّ الحدق (٥. وأحدق (٦ رديني الفرق (٧. واشتدَّت منايا مصابيه. وامتدَّت حنايا حواجبه. وانسدَّت أبواب مطالبه. وانهدَّت اسباب مطالبه. وانقطع رجاء اقاربه. وارتفع حجاب جانبه. لا يكاد يُردِّد الطَّرْف بين الالحاظ والاغماض. الَّا وقد اختلط السواد بالبياض. وظلَّ يتجرَّع أمرَّ الكاسات من امرَّ الحياض

---

١) اي اصبروا ٢) ويروى: وتكمَّلوا ٣) الأطراف الاولى من الطَّرْف والثانية من الطَّرْف ٤) ويروى: حسرة ٥) ويروى: اشائم القلق ٦) ويروى: احرق ٧) ويروى: المرق

فيا لهُ من حبيب لا يلوي على أحبابهِ . وترب اشفاتهُ المصيبة عن أترابهِ . طريحاً كثيباً حسبهُ ما بهِ . فواهاً للادغ لا تُرقى (١ الدغتهُ . وراحل لا تُرجى عودتهُ . وراقدٍ لا تُرى يقظتهُ . قد أيقن بسفرهِ الى الابد . واذعن بمفارقة الاخ والولد . فهذه غاية الخلق فاين رأيُ الآمالين . وهذه آية الحقّ فما قول العالمين . وقد انذر في انجيلهِ الصادق كلّ العالمين . وأعلن قائلاً للسامعين : سيظهر برهان الآخرة يقيناً وتُبصر الدنيا محالاً . وتعبر الخراف يميناً وتُقهر الجدى شمالاً . فتكسب طول المدى نكالاً ووبالاً . يوم يميز الملك بين الصنفين قائلاً للابرار : ادخلوا الدار الالهيَّة المعدّة لكم قبل وجود الزمان . وعزاً نحو الاشرار أن : احلوا الى الدار الابديَّة المعدَّة لجنود الشيطان . فسبيل العاقل . اللبيب الفاضل . أن لا يغترَّ بهذه الدنيا الزائلة . بل يفتكر بالموت وحلول فجعاتهِ الهائلة . فهو الغريم الذي لا يُبقي . والمستقرض الذي لا يوفي . والسارق الذي لا يستحي . فكأسهُ مرّ . ومنظرهُ فزع لا يبرّ . وهيبتهُ شديدة . وساعتهُ رهيبة . وامرتهُ اكيدة فويل لمن لا يستعدّ لنفسهِ قبل النظر اليهِ . ويستيقظ قبل قدومهِ عليهِ

فنقر الله لمن سارع الى معالجة دائهِ . من قبل ان يعزّ وجود دوائهِ . وقبل ان يبرد العرق . ويشتدّ القلق . و يميل العنق . وسامح الله لمن اسبل ذيول الحسرات . وأسدل هطول العبرات . على ما صنع من الجيالات . لا على مفارقة الضيف الراحل عنّا . والعضو المنفصل منّا . الاخ الحقيق . والصديق الشفيق . « فلان » اخيكم وحبيبكم (وان كان الذي توفي كاهناً تقول عنهُ هكذا :) ومقدّس قرابينكم والرافع يديهِ الى الله سبحانهُ سائلاً غفران خطاياكم . (وان كان علمانياً تقول :) ومن كان يلوذ بكم . فهو الآن ملقىً امامكم . صامت اللسان عن مناجاتكم . مودّع لكبيركم وصغيركم . وداع من لا يؤمل الاجتماع بكم . وعزيز عليهِ مفارقتكم . يسأل قدسكم ويتضرّع امام محبّتكم . ان تغفروا لهُ ما سلف منهُ لكم . وتجعلوهُ في حلّ من كل قلوبكم وخالص نيّاتكم . وتذكروهُ بالرحمة والمغفرة عقيب صلواتكم . فقد كان في حياتهِ يطلب من الله سبحانهُ من اجلكم وهو الآن يغتنم طلباتكم وصالح ادعيتكم

واعلموا انَّ هذه الرزيَّة تجلُّ عن التعزية . ويقلّ دونها بلوغ التسلية . فلتصبرنَّ على

١) اي لا تشفى برقية الساحر

حكم الله تعالى ثقةً منّا بوعده . ولنعوض الاكتساب . بالاحتساب . ولنقابل القضاء . بحسن التسليم والرضى . مع علمنا انّ الله نيّح روحهُ فرحل عن محلّ الشقاء . واستقرّ في دار البقاء . فاصل الدارَ الحسنيَّة . وواصل الدار المقليَّة . وظعن عن منزل الحسرات . وقطن في محلّ الخيرات . فارق النقطة الكثيفة الترابية . وقارب الدائرة اللطيفة السماويَّة . انتقل عن رَبع الندامة . ودخل في حمى الكرامة (١ . وكأنّي به وقد وجد الراحة الشريفة . واللذّة الطاهرة اللطيفة . في المنازل التي لا عين نظرت بهجاتها لبعدها من الكثائف الارضيَّة . ولا اذن سمعت لحن نغماتها في التسبيحات الالهيَّة . فسبحان منشئ البريَّة . وواهب هذه العطيَّة السنية . والموهبة الحسنة الزكيَّة . وذلك لما قدَّمهُ من الاعمال الفاضلة الرضيَّة . فتغفر لهُ ما سلف من خطاياه . واسكنهُ فردوس النعيم مع ابراره واصفياه . واوقفهُ يوم الدينونة عن يمينهِ مع قديسيهِ ونجبائه

وتحقّقوا ايها الاخوة انّ الموت محتوم على الصادر والوارد يلحق بكل مولودٍ ووالد . وحكم الله لا يُدافع . وقدرهُ البارّ لا يُمانَع . واعلموا انّنا جميعنا فانون . والى ما صار اليهِ هذا الاخ « فلان » صائرون . والى الحساب والمجازاة ماضون . فلا مالٌ ينفع . ولا ولد يشفع . ولا شفاعة تُقبل عند حاول الموت وتلك الساعة الهائلة . وعدل الله استبان لنا في مساواة كاسهِ المرّ . بين الشريف والدني . والضعيف والقوي . والحليم والأُمي . فجعلنا

(١ وقد جاء في النسخة البيروتية ما نصّهُ . « فلا تحزنَّ عليهِ كمن لا رجاء لهُ . ولا تبكينَّ عليهِ كمن لا يقين بهِ . فذلك يليق بالوثنيين . والقوم الثانهين . الذين لا يقرُّون بالقيامة والحساب . ولا يرجون بالآخرة نعيماً ولا عقاب . بل نتيقّن حقّ اليقين . ونؤمن ايمان المصدقين . انّ نُفُلنا اذا ما عملنا وصايا ربّنا وسلكنا طاعة سيدنا هي من الارض الى السماء . ومن الظلمة الى النور ومن الزوال الى الذي لا يزول ومن الحزن الى الفرح ومن الشقاء الى النعيم والبقاء الذي لم تنظرهُ عين ولم تسمع بهِ اذن ولا خطر على قلب بشر . وذلك امتثالاً لمراسيم ربّنا وثقة بمواعيد خالقنا : ان الذين يعملون بوصاياهُ يرثون الخيرات التي اعدَّها لهم في دار النعيم والذين يعصونهُ يخلدون في الظلمة الابديَّة والنار السرمدية . بل ينبغي لنا اذا بكينا ان يكون ذلك على ما فرط منّا من الجرائم لانَّ الندب والعويل . والبكاء الطويل لا ينفع المتوفّى البتّة لان سيّدنا لذكرهِ السجود لمَّا حضر عند قبر العازر وقامهُ انّما دمع لا غير تعليماً لنا ألّا ندب طويلاً ونكثر عويلاً على موتانا كمن لا رجاء لهم والمتوفى ليس ينفعهُ بعد الممات غير القداسات والصلوات والتذكارات الدائمة . . . »

وهذا الختام لا أثر لهُ في النسخة الموصلية ولعلَّهُ زيد على النسخة البيروتية بيد احد نُسّاخ الروم الملكيين . لان فيهِ ما يُشعر بأصلهِ الملكي وقد ضربنا عن رواية قسم منهُ صفحاً لقلّة فائدتهِ

الله وايّاكم. مستعدّ تطلّب علّته. قبل تاهّب غلّته. واستعدّ للقاء. ربه. قبل شقاء نفسه. وتأهّب للشمول بالرحمة. قبل النزول في الظلمة. واستوجب الخلود في النعمة. قبل حلول النقمة بشفاعة السيدة الطاهرة البتول والدة الرحمة. وام الحياة. ذات الطوبى والشفاعات. وبجميع الملائكة والانبياء. والرسل الابرار. وجميع القديسين والقديسات الاحرار. امين

سياحة حديثة في جبّة بشرّاي

للاب لويس رزق الله اليسوعي (تتمّة ما سبق)

٢

قد ليلة قضيناها في قلالي دير مار سركيس ما كان اهنأها عقبها صباحٌ استبشرنا من بلجته الخير وبسط النفس. فقمنا عند ابتسام فجر الخميس وسرنا بنشاط الى وادي الارز. فكانت طريقنا في بادئ الامر عسرة صعبةً المرتقى حتى بلغنا بعد قليل نهجاً سوياً سلكناهُ فافضى بنا بعد ساعة من الزمن الى الهضاب التي تنتصب فوقها غابة الارز. فشينا مدّة دون ان نراها بالعيان ونحن على نجوة تعلو الوادي الذي عند منتصفهِ يتبجّس نهر قاديشا ويفور بدويّ عظيم فوقفنا هنيهةً لنُشبع النظر بالمشاهد التي كانت محدقةً بنا: الكمل وراءنا ومن عن شمالنا. وبازائنا تنتف مستوٍ كأنهُ الجدار تضاهي قمّتهُ قمة ظهر القضيب علواً. وعند اقدامنا نبعٌ فوّار يُسمع لهُ شبه هزيم الرعد ويسيل مزبدًا الى سواة الأودية المتّصلة بعباب البحر. فذكّرتنا هذه المناظر وصفًا انيقًا للشاعر الفرنسي لامارتين أطنب فيهِ على هذه الانحاء. فأوغل

ثمّ ما لبثنا ان بلغنا الى غياض الارز وهي لا تظهر كلها معاً لان موقعها كما سبق القول على عدّة نجوات تختلف في ارتفاعها ولكن ما لاح لنا منها لاول وهلة أعجبنا. فراقنا منها لونها الشديد الخضرة وجذوعها المرتفعة وافنانها الممتدّة على شكل طبقات متفاوتة مخروطة الرأس رائعة المنظر. وفي مقدمتها ارزة كاملة الصورة بهجة المنظر جامعة لمحاسن أخواتها تخيّرتها جريدة الارز الغرّاء. فاتخذتها كشعار تزين بهِ كل اعدادها وقد جعل لحرج (حرش) الارز سُور يُحدق بهِ من كل جهاتهِ فيصونهُ من الماعز وايدي

العدوان. فما انتهينا الى داخله حتى اخذنا الدهش ولميت بنا نشوة الحيرة عند مرأى هذه الآكام المظلّة بافياء مخلّدة لم تخترقها منذ اجيال عديدة اشعّةُ الشمس. والتربة التي فيها تغوص جذور هذه الاشجار البهيّة انما هي كلسيّة لكنّ النظر لا يكاد يطّلع عليها لما يملوها من نفاية الاوراق والاغصان الساقطة هناك منذ غابر الاجيال. والاشجار التي لقيناها في مدخل الحديقة أقرب عهدًا من غيرها لكنّها ابهى منظرًا واجمل صورة يخال لناظرها انّها سواري سفن تتخايل عجبًا في الهواء وقد اغصانها الوارقة كأنها الشُرُع تدفعها الريح في عباب البحر

ثمّ مشينا في وسط هذه الحميّة النَضرة فوجدناها مَبْردةً للبدن بعد ما شعرنا من حرارة الشمس في سيرنا الحثيث. وكنّا ننتقل من ربوة الى ربوة ونفحص صفًا بعد صفّ ونجد لكلّ شجرة خواصّ جديدة. ونحن مع ذلك نستنشق ريّا الارز العطرة وهي اطيب من رائحة الصنوبر والشوح الجبلي الذي يُعجب به أهل اوربّا. وقد شبّه العلامة شُلتز (Schultz) نسيم الارز بنَغْمة البلسم المكيّ

وكانت بعض سطور الارز تلوح لنا كعواميد رواق جميل او بيوت بديع فرقهُ سقف من الاغصان المحتبكة ببعضها جدلتها يد الطبيعة على هيئة فخيمة يعجز عن تقليدها ابرع المهندسين

ولم تزل نطوف في جهات الارز حتى بلغنا بُقعةً منفردة موقعها في مُنحبط من الارض على شكل دائرة فهناك ليس بعيدًا عن المعبد الذي شيّدهُ السعيد الذكر غبطة السيد بولس مسعد ترى أقدم اشجار هذه الغابة عهدًا. فعددها اثنتا عشرة شجرة خمس منها على مقربة من المعبد والسبع الأُخر على اكمة مجاورة. وبين الخمس الاولى ترى ملك هذه الغيضة وساطانها. وهي ارزة غاية في الكبر موقعها في منحدر من الارض لا يزلهُ السيّاح لحرج مكانهِ. ومن يعتبر هذه الارزة عن بُعد خمسين قدمًا لا يستعظمها امّا اذا اقترب منها وجدها آية من آيات الخليقة فكأني بها في وسط اخواتها جبّار يقبختر بين اقرانهِ وهو اشدّ منهم صولة واعظم جسمًا. ودائرةُ جذع هذه الارزة نحو ١٥ مترًا. وقد بلغت بها قوّة حياتها الى ان فرّعت جذورُها فرعين كبيرين علا ساقها وتكاثفت اغصانهما فهي بينها كالسيد الاروع الجلاحل يتباهى بولديه الكهلين ويسند اليهما رأسهُ المُنحسر تحت افنانها الغضة. ولا غرو ان كبار السيّاح أعدّوا هذه

الارزة من بقايا القرون السالفة التي شاهدت عهد سليمان فصبرت مذ ذاك على ملمّات الحدثان ونوائب الزمان

امّا السبع الشجرات التي تنتصب فوق الربوة الحاذية فهي احسن موقعاً والى ظلّها يأوي السيّاح ويضربون تحتها خيامهم. وعلى صفحات جذوعها اسماؤهم وتاريخ حجهم اليها. ومنهم قرأنا اسماءهم من المشاهير الشاعر دي لامارتين والكاتب البليغ دي جرامب (de Géramb) والعلامة بُرَوا (Bruat) وعلم جزًا

ومن علوّ هذه الربوة يمتدُّ البصر الى مجموع شجر الارز الثابت في هذه البقعة وعددها بين كبرى وصغرى لا يربي على ٣٧٠ وكانت الارزات الكبرى قبل عهدنا بثلثمائة سنة ضعف ما هي عليه الآن. فان احد السيّاح عدّها سنة ١٥٦٥ فوجدها ٢٥ ارزة وهي لم تزل تقلّ شيئاً فشيئاً مذ ذاك العهد لعدم اكتراث اهل تلك المقاطعة لها سابقاً الى ان تصدّت حكومة لبنان لهذا الخلل في ايّامنا وتداركتهُ ببناء السور لئلا يصيبها ما اصاب اخواتها من التلف

وقد سبق القول انّ التربة الاصلية يعلوها طبقة من نفاية الشجر وورقه المتساقط وهذه الطبقة تختلف بين ٥٠ الى ٧٠ سنتيمترًا عمقاً ينبت فيها صغار الارز الّا انها اذا بلغت طول الاصبع او الاصبعين تشقّقت وهلكت وهو امر مقرَّر حتى ان احدث ارزة تُرى في هذا المكان ترتقي الى ما فوق المئتي سنة

امّا سبب ذلك فتضاربت الاقوال في بيانهِ. فمن قائل انّ ظلّ الاشجار الكبرى يحجب عنها الشمس فلا تقوى على النموّ وتتلف وهو رأي لا يخلو من الصواب. ومن قائل انّ بزرها رديء لانّهُ ينشأ من شجر قديم العهد ضعيف البنية. وهو تعليل لا نرى فيهِ شيئاً من الصحّة لانّ هذا البزر نفسهُ غُرس في غير امكنة فطلع ونما

وعندنا ان لعدم نموّ ارز جديد في المكان تعليلين الاوّل انّ بزر الأرز اذا وقع من الشجر بقي في الطبقة العليا بين نفاية النبات فلا يبلغ الى تربة الارض ليمدّ فيها اصولهُ وينال منها ما يحتاج اليهِ من العناصر المغذية التي لا يجدها في هذه الطبقة الفوقيّة. ولذلك يضعف ويموت

والتعليل الثاني انّ كثيرًا من السيّاح يقدمون الى غابة الارز فيطأون هذه الاغراس

الصغيرة فتتلف . والنباتيون يعلمون انّ أغراس الارز لا تنمو الّا بعد الاهتمام الكبير فكيف لا تهلك اذا داستها الاقدام

هذا وقد قرأنا في كتب بعض السيّاح الاجانب ما يزري بحقّ الارز ويسومهُ خسفاً . من ذلك ما كتبهُ أحد جوّالة الانكليز ان خمائل بعض اشراف انكلترة لاوفى حسناً واتمّ جمالاً من غابة الارز وقال غيرهُ : انّ اقدم شجرة في الارز لا تضاهي شجرة من اشجار البارُباب (baobab) او البانيان (banian) التي تزين الغياض الافريقيّة او الهنديّة »

(نقول) انّ هذا الكلام يُشعر بهوى كاتبهِ ولو تروّى لما سطّر ما سطّر . لعمري انّ الذين يقدمون الى الارز لا يقصدون قطّ منظر شجر ضخم او غابة جبليّة لانّ غايتهم اسمى من ذلك فانّ الأرز اثر تاريخي ينبئ بفاخر لبنان القديمة ويروي للخلف مجد سلفائهم . هذا فضلاً عمّا سبق وصفهُ من انّ موقع هذه الغابة بين جبال شاهقة تحدق بها المناظر البهجة

وعلاوة على ذلك انّ للمسيحي سبباً آخر من شأنهِ ان يحملهُ الى زيارة الأرز وهو ذكر هذا الشجر في الاسفار المنزلة فان الله عزّ اسمهُ اطنب في مدحهِ واثنى على لبنان بسببهِ ونسبهُ الى نفسهِ حيث قال في المزامير (٧٩ : ١١) عن الكرمة الرمزيّة التي هي اسرائيل : « غطّى ظلّها الجبال واغصانها أرزَ الله » . وشبّه بهِ اولياءهُ الصالحين (مز ٩١ : ١٣) ورمز عن الحكمة المقدسة (٢٤ : ٢٧) . ومن الخواص التي استرسل الكتاب في وصفها بقاء الارز وصبرهُ على الايام دون فساد وهو الخشب الذي فضّلهُ سليمان لابتناء هيكل الرب

وقد شُغفت ايضاً كنيسة الله بأرز لبنان فاوردت مراراً ذكرهُ في صلواتها الطقسيّة . امّا الشرقيون فاستحسنوا ان يشبّهوا بهِ البتول العذراء ويلتمسون حمايتها بتسميتها « ارزة لبنان » (١)

أفليست هذه الاسباب كافية للشرقيين عموماً ولاهل الشام خصوصاً بان يتوقّلوا مشارف لبنان ويزوروا هذه الغابة المقدّسة ويتشرفوا بمشاهدها

١) هذا وان النباتيين وعلماء الطبيعة يجدون هنا اصنافاً من النبات او من صغير الحيوان لا يجدونها الّا نادراً في امكنة أخرى . فمن ذلك اننّا وجدنا كثيراً من نوع الفراش المعروف باسم (Argyne Pandora) وهو فراش جميل للغاية يطلبهُ علماء الطبيعة بكل رغبة ولا يفتون عليهِ لندرتهِ

٣

قد اطلنا في وصف الارز فحان لنا ان نعود الى رحلتنا. بعد ان صرفنا بضع ساعات نرتشف في هـذه البقعة كأس الهناء قمنا فتسرّحنا من هذا المكان آسفين على فرقته وذهبنا الى بشرّاي حيث كان حضرة الاب اغناطيوس جمجع احد اساتذة كليّتنا الافاضل في انتظارنا. فتحفّى بنا وبالغ في اكرامنا ولم يُبالِ بطاونةٍ عرضت لهُ في صباح ذلك النهار فاذاقتهُ ألمًا شديدًا

وبعد الغداء جُلنا في بشرّاي وتبيّنّا ما نالتهُ تلك البلدة من سخاء يد الخالق. وهي قرية كثيرة الخصب غزيرة المياه وبيوتها مشرقة مؤنقة منتظمة بعضها فوق بعض تشقُّها جداول الماء الصافي. وفيها الكنائس الواسعة الحسنة. واهلها مشهورون بالتقى والصلاح. وفي لهجتهم ولسانهم مسحةٌ من السريانية وبها كانوا يتكلّمون قبل مئة سنة هم واهل حصرون والقرى المجاورة

ولمّا كانت الساعة الثانية بعد الظهر خرجنا من بشرّاي قاصدين اهدن وهي من أعلى قرى لبنان لانّ علوها يبلغ ١٤٤٥ مترًا. فارتقينا في الجبل حتى وصلنا بعد نصف الساعة الى مشارفهِ فوقع نظرنا على القرية التي نقصدها وما مرّت علينا ساعة حتى انتهينا اليها. وممّا كان يستلفت ابصارنا في اثناء الطريق رؤية اهل تلك البلاد لاسيما شبّانهم فان سحنتهم تختلف عن سحنة غيرهم فترى بشرتهم ناعمة بيضاء وقامتهم طويلة وبنيتهم شديدة لهم اعضاء تجمع بين الصلابة والمرونة وفي وجههم ما يدلّ على مضاء العزيمة. وكنتُ اسمع كثيرين من رفقتي يتفوّهون اذا رأوهم: « ما احسن هيئة هؤلاء القوم ألا ترونهم من سلالة اوربيّة قديمة وردت هذه البلاد فتوطّنتها وتناسلت فيها الى عهدنا ». وكان يزيدنا عجبًا منهم لبسهم الانيق فان قلنسوتهم لبّادة بيضاء ورداءهم عباء ذو لون احمر قانئ مخطّط بالوان ونقوش شتى يبتاعونها من معامل طرابلس ويتسربلون بالسراويل الضيقة يجعلون سوقها في مَسام (طماقات) متينة تنتهي باقبال محدّدة الرؤوس كثيرة المسامير وهذه الثياب يلبسها أحداثهم فتزيدهم حسنًا

وتركنا على يميننا ديرًا عامرًا لم يتسنَّ لنا ان نزورهُ وهو دير مار سركيس وفي ارضهِ تنبع عين غزيرة المياه طيّبتها تجري منها الى اهدن وعندها يجتمع اهل الضيعة في ايام الفراغ لترويح النفس

وفي اهدن بعض آثار تستحق الذكر ما لم يتسنَّ لنا ان نزورها. وهذه البلدة تفوق على كلّ قرى لبنان بحسن موقعها وطيب هوائها وكثرة مناظرها. فان في جوارها مكانًا يشرف على كل الانحاء المجاورة ويمتد منهُ البصر الى طرابلس وجون عكّار فيكشف على مرأى فتّان. فتعجّبنا كيف لا يتقاطر الى اهدن اهل السواحل في ايّام القيظ لينالوا فيها حظًّا موفورًا من الهناء.

وكانت زيارتنا الاولى عند وصولنا الى اهدن لكنيسة القرية وهي بناية كبيرة متسعة الجوانب كثيرة الانوار في وسطها صفّان من الدعائم يقسمان البيعة ثلاثة اقسام وسقفها مرتفع فوقهُ سطح رحب. وصحن الكنيسة مفروش بالرخام الابيض. وهيكلها محكم الصنعة بديع الترصيع. ولو نُقشت جدرانها ببعض التصاوير لأصبحت طُرفةً من غرائب لبنان

وفي مَوْقِه (سكرستيًا) الكنيسة رجل شهير يعتبرهُ اهل لبنان كبطلهم الصنديد وفخر وطنهم ألا وهو الطيّب الذكر يوسف بك كرم الذي نُقلت جثتهُ بعد وفاتهِ في ايطالية الى مسقط رأسهِ. لكنَّ العجب اخذ منّا مأخذهُ اذ رأينا بقاياهُ المكرَّمة في زاوية لا شيء يدلّ على شرف صاحبها فانَّ الجسم مودعٌ في تابوت تعلوهُ الغبرة. واذا نُزع غطاء التابوت تجد لوحًا من الزجاج المشوَّه بالغبار تحتهُ جسم هذا الرجل الجليل القدر. وهو مخطّط يظهر منهُ وجههُ ورأسهُ ترى جلدها متقلّصًا ضاربًا الى السمرة شأن الاجسام المحنَّطة. والبك لابس ثياب شيوخ الجبل الفاخرة. ويدهُ اليسرى مكشوفة فيها بعض اللدونة لما يُذَرُّ عليها من الذرور. ومع كل ذلك قد ينبعث من الجثّة من حين الى آخر رائحة تدلُّ على انَّ الفساد لاحق بها. وسبب ذلك انَّ الهواء ينفذ الى داخلها من جوانب لوح الزجاج. وكان الأولى ان يُثبَّت الزجاج ويُسدَّ سدًّا محكمًا بالقراء واللاط. وعلى كل حال لا بُدَّ ان تُحفَّ هذه الجنازة ببعض الكرامة والأبهة ليعرف الزوّار قدر هذا الرجل الشريف (١)

وعند خروجنا من الكنيسة رأينا الفعلة يشتغلون ببناء قبّة جميلة للجرس تناسب الكنيسة حسنًا وجمالًا. وبقرب الكنيسة دير حضرات الآباء اللازريين الذي كان يسكن فيهِ آباء رهبانيَّتنا في القرن الماضي. فاحببنا زيارة هذا الدير وسلّمنا على حضرة

(١) ولعلَّ الجثّة وُضعت هناك موقّتًا وربما تُنقل الى كنيسة مار بطرس بعد انتهاء بنائها فتُجعل بمقام اهلٍ بها

الاب شنيارا المرسل الغيور الذي كان قدم اهدن ليقيم رياضة روحيّة لكهنة هذه الجهات ثمّ تحفّزنا للرحيل لندرك دير قزحيا قبل الغروب. وآثرنا الطريق المطروقة المارّة بكفر زغوب على طريق عين طورين لان هذه مع قصرها كثيرة الوعورة لا تسلكها الخيل فوصلنا بعد ساعة الى رأس الوادي الذي في مهبطه دير قزحيا. فظهر لنا من ذلك المشرف منظرٌ عجيب يروق الابصار بحاسنه الطبيعيّة فكنّا نرى الغابات المتكاثفة والاشجار الفنواء وحابس السيّاح تزين اعاليها الصلبان وفي الاسفل ابنية الدير ولواحقهُ العديدة

فما كدنا ان نتجاوز عتبة الباب حتى اقبل الينا رئيس المقاطعة مع رئيس الدير فرحّبوا بنا ترحاب الاخوان باخوانهم ثمّ اسرعنا الى زيارة الدير قبل ان يُرخي علينا الليل رواقهُ. ومن محاسن هذا المسكن الشهير كنيستهُ وهي متّسعة الساحة جميلة المنظر مبنيّة في كهف صخر كبير كأنهُ رواق فوقها

وخزانة هذه الكنيسة غنيّة بآنية التقديس والآثار التقويّة. منها عكّاز من الخشب الثمين المرصّع بالاصداف البديعة. قيل لنا انها هديّة اهداها القديس لويس التاسع الى الموارنة لمّا قدم بلاد الشام ويا حبّذا لو امكن الرهبان ان يؤيّدوا هذا التقليد بشهادة كتابيّة فتصبح هذه العصا الرعائية اثرًا مأثورًا بل ذخيرة غاية في القدر

ومنها ايضًا شعاع غريب الصنعة جامع لضروب المحاسن اهدتهُ الامبراطورة اوجيني عقيلة نابوليون الثالث. وكذلك بدلتان من ابدع شغل المعامل الاوربيّة احداهما تلطّف بتقدمتها لهذا الدير السعيد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر

ثم زرنا بعد ذلك المغارة التي أُفردت في هذا الدير لمعالجة المرضى المصابين باختلال الشعور. وموقعها على شمال مدخل الدير. فوجدنا فيها شابًا مسّهُ الجنون يسعى الرهبان بشفائهِ وهم ابرأوا قبلهُ ثلاثة اخوته وكانوا مصابين بدائهِ فعادوا الى بيتهم بتمام الصحّة. وفي هذه السنة قد اتاهم عدد غفير من المجانين من كل الطوائف والملل حتى من اهل البدو والمتاولة. وقد أكّد لنا الناظر القائم على نظارتهم ان كثيرين منهم نالوا الشفاء. والرهبان يعزون ذلك الى شفاعة القديس انطونيوس الكبير ولديهم على ما افادونا عصاة ابي الرهبان يؤدبون بها المجانين في اوقات معلومة وهؤلاء المساكين مقيّدون بسلاسل مشدودة بجرز من الحديد لا يمكن قطعها. واذا خفّ عنهم الجنون وضعوهم في قلالي مخصوصة وعالجوهم بضروب العلاجات المفيدة

وفي هذا الدير المطبعة التي ورد وصفها في المشرق (٣: ٢٥١) فلا حاجة الى ذكرها لاسيما ان قصر وقتنا حال دون زيارتها وتفقُّد خزانة كتب الدير

ولمَّا تمَّ طوافنا في كل انحاء هـذا المقام المقدَّس دعانا الرئيس الى مأدبة شائقة توفَّرت فيها اسباب الهناء وتعدَّدت شارات اللطف والايناس من قِبَل من شرَّفونا بدعوتهم

وفي صباح اليوم الثـاني الموافق للجمعة الواقع في ٢٧ تموز اقرأنا الوداع سكَّانَ تزحيا الافاضل وشكرنا لطفهم ثمَّ أسرعنا مسرعين لنبيت في مـاء ذلك النهـار في البترون . وبين تزحيًا والبترون ثماني ساعات للسائر المُجِدّ . امَّا الطريق فكانت تختلف علينا فنهبط تربةً الى قعر الوديان ونتوقل تربةً الى قُنن الجبال

ومن القرى التي اجتزناها سرعل وطن حضرة رئيس الرهبـان الموارنة البلديين . وهي مشرفة على وادي قاديشا وهناك عقبة يُضرب في وعورتهـا المثل وكان الحرّ في ذلك اليوم لافحًا فاشتدَّت علينا حرارتهُ وابتُلينا بلهواته خصوصاً لمَّا قطعنا ارضاً كلها من الحوَّارى البيضاء كانت تنعكس منها الى وجوهنا اشعَّةُ الشمس

ولمَّا كان الظهر حططنـا عصا الترحال في ضيعة حقيرة على ربوة صهرتها الشمس تُدعى دير بعشتار فانتظرنا فيها ريثما ترّ علينا الهاجرة وتتلطَّف الحرارة قليلاً

ولمَّا ازف وقت الرحيل انحدرنا الى منهبط وادي نهر الجوز من جهتهِ الشمالية في سكَّة كلسيَّـة التربة غاية في الوعورة . وفي اسفل هذا الوادي قلعة حصينة من بناء الصليبيين في القرون المتوسطة تعرف بقلعة المَسْلحة ورد ذكرها في المشرق (٣: ٤٥٣) وهي عند مضيق بقرب الطريق التي تسير بين البترون وطرابلس ليس بعيـداً عن البحر . ثم سرنا مدَّةً بين مزارع وبساتين يغلب عليهـا اشجار التوت والتين فوصلنا نحو الساعة السادسة مساء الى البترون وركنَّا هناك الى الراحة بعد ان نالنا من العناء والنَّصب في طريقنا ما نال

وفي الغد رجعنا الى نهر الكلب راكبين العجلات كما فعلنا عند ذهابنا واتممنا هذه الرحلة بالسلامة شاكرين المولى على ما اسبغ علينا فيها من النِّعم

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

الاسطرلاب وآلات العرب الرصدية

انَّ وصفنا السابق للاسطرلاب شاهدٌ لامع على حذق العرب في تجهيز آلاتهم الرصدية. وقد اخذنا العجب لمَّا فحصنا حديثًا بعض هذه الآثار المصونة في متحفي باريس والاستانة فوجدنا ان الصنَّاع الشرقيين اجادوا كلَّ الاجادة في عمل ضروب الاسطرلابات وتخطيط اقسامها ورقم اسفارها وتدوين اشاراتها بالحروف الكوفية الأنيقة. مثال ذلك اسطرلاب رسمنا هنا صفحتيه ارسلهُ من بيروت الكنت دي پرتوي الى مرصد باريس تاريخ صُنعهِ سنة ٧٢٥ للهجرة (١)

الَّا انَّ الاسطرلاب مع ما فيهِ من الاتقان لم يكن كامل الضبط تامّ الاهبَّة وذلك لانَّ العلماء لم يكتشفوا في عهدهم الآلات القياسية الشائعة اليوم كالآلات التي تُعرف بها التقاسيم الدقيقة وتدوينها (verniers) خصوصاً على الآلات الصغيرة الحجم كالاسطرلاب

فلسدّ هذا الخلل سعى فلكيُّو العرب بوضع آلات أُخَر ضخمة ثابتة كانوا يجلونها في امكنة معلومة وهذه الادوات الرصديَّة لكبر حجمها كانت تحتوي على التقاسيم الدرجات والدقائق. وقد وُقت على بعضها الثواني ايضاً. فمن ذلك ان ابن يونس الفلكي لمَّا وصف مرصد نيسابور ذكر لهُ آلة كبيرة من ذوات الحلق وكذلك اشار الى ربع دائرة قاس بهِ صاحب ذلك المرصد انحراف منطقة البروج كان يبلغ سهمهُ سبعة امتار. وروى ايضاً ابن يونس انَّ ابا محمد الخجندي كان يرصد في زمانهِ بآلة سدس اخترعهُ ودعاهُ الفخري باسم الامير فخر الدولة من بني بويه المالك في عهدهِ. وكان سهم ذلك السدس عشرين مترًا رقم فيهِ الدقائق والثواني وكان يستعملهُ في مرصد مراغة

(١) على وجه الاسطرلاب في دائرتهِ قد رُسمت الدرجات خمساً خمساً وفي وسطهِ منطقة البروج مع اسمائها ثمَّ عدَّة اسماء للكواكب والنجوم كالفائد والعيُّوق ومرزم ورجل الجوزاء والكفّ الخذماء وقاعدة الباطية وفلك الاسد واصل ذنب قيطس وعين الثور. وفيها ايضاً خطوط المقنطرات والساعات واطول ساعات نهار هذا الاسطرلاب ١٣ ٥٠' وعرضهُ ٣٩° وهو عرض مصر. امَّا الظهر فهو يحتوي على خطوط الجيوب واسم الصانع كما يلي « صنعهُ عليّ بن ابراهيم بن محمَّد بن ابراهيم سنة ستّ وعشرين وسبعمئة »

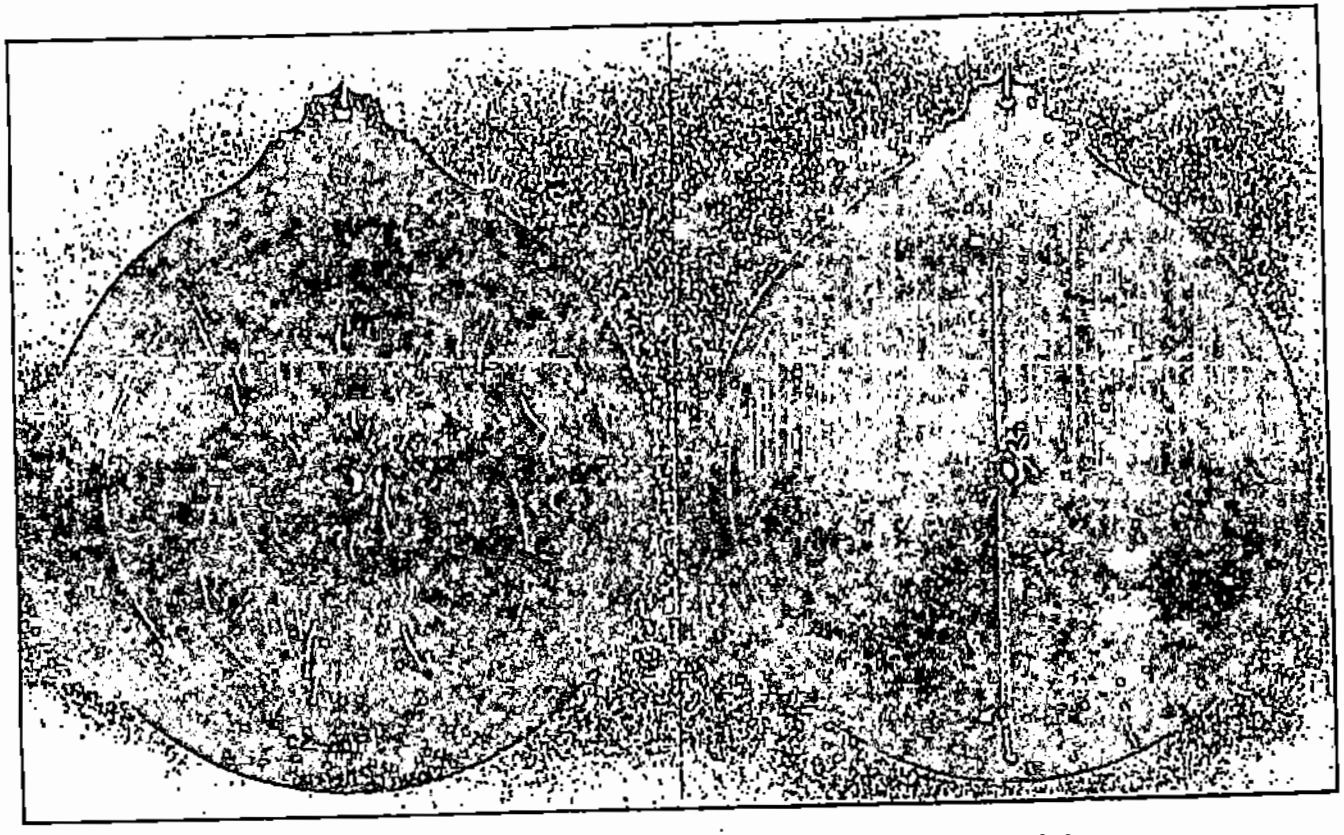

صورة صفحتي اسطرلاب قديم ارسلهُ الكنت دي پرتوي من بيروت الى مرصد باريس

ويُخبر عن اولوغ بك الفلكي الشهير انهُ اصطنع لهُ ربعاً في سمرقند كان ارتفاعهُ بسلوّ انًا صوفيًا في الاستانة اي نحو ستين مترًا

امًا كيفيَّة تركيب هذه الآلات العظيمة فدونك ما أطلعنا عليه الكتَّاب القدماء نوردهُ هنا ليتمّ بهِ وَصفنا السابق لدائرة السمت الكبرى التي كانت في القاهرة

جاء في كتاب صنَّفهُ المؤيَّد الوردي (راجع الصفيحة ٤١ من نسخة باريس) وصف فيهِ ربع الدائرة (او اللبنة) فقال ما تعريبهُ :

« ان اردت انشاء ربع دائرة او لبنة اجعل اث جدارا علوهُ ست اذرع ونصف ذراع تكون وجهتهُ موازيةً لخط نصف النهار ثمَّ اجعل على وجهه الشرقي ربع دائرة مع قاعدتها بحيث تكون زاوية الجدار الجنوبية مركزًا لها وثبّتها بواسطة دعامتين . ثمَّ اثقب في هذا ربع الدائرة ثقبًا وأدخل فيهِ ربعًا آخر من النحاس وارسم على كفّتهِ ثلاث اقواس مركزيَّة لترسم فيها الدرجات من خمس الى خمس مع التقاسيم الدالَّة على الدقائق . ولا بدَّ ان تكون احدى القاعدتين على خط عمودي والاخرى مساوية للافق ويكون طرف ربع الدائرة في دائرة نصف النهار . ثمَّ اجعل في المركز انبوبة من النحاس ذات شعبتين . فاذا تمَّ ذلك وجدتَ انَّ الخط الذي يمرّ في ربع الدائرة وفي درجة الارتفاع يمرّ ايضًا في مركز الشمس »

وللمؤلف المذكور وصفُ ربعٍ آخر يسمّيهِ الآلة ذات الاسطرلابتين لأنهم كانوا يتخذون دعامتين علوّهما ستّ اذرع يجعلون فوقهما عارضة فيها محور تدور حولهُ قاعدة طولها خمس اذرع وربع ذراع يدعونها سهمًا لانَّ طرفها بدورانهِ كان يرسم دائرةً تامَّة . وكانوا يجعلون نقطة مركز الآلة على بعد خمس اذرع من طرفها المذكور

وهاك اخيرًا وصف السدس الذي اتخذهُ في مرغانة ابو محمد الخجندي نقلًا عن ابي الحسن :

« بين هذه الآلة وبين غيرها من الآلات التي يُرصَد بها لَفَبل تفاوتٌ كثير . وذلك ان سائر الالات التي يُرصد بها المَيل غاية ما يُدرك بهِ الدرجُ والدقائق فقط وهذه يدرك بها الدرج والدقائق والثواني . وهذه صفة عملها نستخرج خط نصف النهار كما تقدم ونبني على جنبَيهِ حائطين متوازيين لخطّ نصف النهار وبعد ما بينهما سبعة اذرع ونعمل فيما بينهما من جهة الجنوب طاقًا بحكم الصنعة ونجعلهُ في اعلاهُ ثقبًا بمقدار قطرهِ سدس ذراع وارتفاعها عن الارض عشرون ذراعًا ونركّب على قطرها حديدة مثبتة . ثمَّ نحفر في الارض على استقامة مسقط حجر مركز الثقبة عشرين ذراعًا ونصعد الى ألواح متينة ونعمل منها بينها مربعًا صلبًا مستدًّا غير مائل طولهُ اربعون ذراعًا ونركّب في احد طرفيهِ زرقينًا ونثقب من الحديدة المعترضة على الثقب قبيقي السهم مقام نصف قطر الدائرة . ثمَّ يُدار في الحفرة المحفورة حتَّى يحصل قوس قدرها سدس دائرة ونركّب فيها ألواح ويُملس ويُسوَّى ويُصحّح ويُلبس صفائح صالحة للقسمة . وتقسم هذه القوس بستين قسمًا

وكل قسم من هذه الاقسام درجة ونقسم الدرجات التي نظن انها نهاية الميل بستين قسماً. فمعلوم ان كلّ قسم من هذه الاقسام دقيقة ونقسم كل دقيقة بعشرة اقسام ليكون كل قسم من هذه الاقسام للعشرة محتوياً على ست ثواني. فاذا بلغت الشمس فلك نصف النهار القت شعاعها من ذلك الثقبة على حوالي خط نصف النهار بقولان امتداد شعاع الشمس من الشمس على هيئة مخروط يكون ما القت من الشعاع على الارض اعظم مقداراً من مقدار الثقبة فلذلك ينبغي ان نتخذ آلة اخرى لتحقيق ذلك. وهذه الآلة هي دائرة مسارية لمقدار الشعاع الواقع على الارض ويعمل فيها قطران متقاطعان على زوايا قائمة. فاذا قربت الشمس من خط نصف النهار اطبقت هذه الدائرة على شعاعها الواقع على الارض وحركت بحركة الشمس رويداً رويداً حتّى يقع مركزها على خطّ نصف النهار فيتحقق بذلك موضع وسط الشعاع من ذلك نصف النهار ويعرف من ذلك ارتفاع الشمس في نصف النهار فان من الموضع الذي وافاه مركز هذه الدائرة الى سقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع وافه اعلم »

فترى من هذه الاوصاف ان العرب كانوا يستعملون آلات تشبه الآلات الحائطيّة (mural) التي يتخذها الفلكيون في عهدنا

وكان للعرب ما عدا هذه هذه الآلات المجهّزة بالعضادة عددٌ كبير من ذوات الظلّ

واشهر هذه الآلات الالواح او الساعات الشمسية المعروفة بالمزاول (cadrans solaires) التي لا تزال شائعة الى يومنا هذا لمعرفة الزمن الحقيقي. ومبدأها الذي يستند اليه فيها ان يُتخذ قائم او جزء من الحديد يجوز ان يُضاف اليه طارة مثقوبة. ولا بأس ان يُجعل القائم المذكور على سطح افقي او موازٍ لخط الاستواء او على سطح عمودي او منحرف. وانّما يشترط ان يكون في سطح نصف دائرة النهار على سواء خط القطبين. فالقائم المذكور يرمي بظلّه على اللوح وتُعرف في كل وقت ساعة الزمن الحقيقي. وتقسيم الآلة امر سهل

وقد اصطنع ارباب النجوم من العرب مزاول عديدة على هيئات شتى. فانهم لم يكتفوا بان يجعلوها على سطوح افقيّة وتعديليّة وعموديّة وانحرافية بل اتخذوا مساحات أُخر كما ترى في مزاولهم التي دعوها بحسب هيئاتها « الحافر » و « والحلزون » و « الاسطوانة » و « المخروط » و « نصف الكرة » و « ساق الجرادة » و « الميزان الفزاريّة » وكانت على هيئة متوازي السطوح. وكان اصطناع هذه المزاول يقتضي حذقاً كبيراً لما كانوا يرسمون عليها من النقوش والتعريفات المفيدة. ولذلك وضع العرب تآليف عديدة في وصف هذه المقاييس وفوائدها. وقد اشتهر بين هذه المصنّفات كتاب ابي الحسن علي المراكشي ذكر فيه اصناف المزاول ومناقعها. وقد عدد للميزان الفزاريّة وحدها خمسين

فائدة اوضحها في خمسين فصلاً وهذا لعمري دليل ساطع على عظم شأن هذه الآلات الظلّيّة

واعلم ان بعض هذه الادوات كانت ابنية ثابتة لا يمكن نقلها وكان بعضها يُنقل من موضع الى آخر. ومنها ما كان يُجهَّز لعرض بلد معلوم وغيرها تُصطنَع لاي عرض كان يتخذونها لاسفارهم برًّا وبحرًا ويستعينون بها لتعيين القبلة ومعرفة اوقات الصلاة والمناسك الدينية

وكانت هذه المقاييس والآلات الرصدية الكبرى تستلزم رسم خطّ نصف النهار. والعرب يُجرون هذا التخطيط على انواع شتى اشهرها طريقة الدائرة الهندسيّة. فكانوا يعمدون الى سطح من الارض متساوٍ فيخطّون عليه دائرة يركزون في وسطها مقياساً رأسهُ ارفع من وسطه يكون طولهُ كربع الدائرة ولا بُدّ ان يكون هذا المقياس عموديًا متساويًا. ثمّ يلحظون ظلّهُ عند دخوله في وسط الدائرة وعند خروجه منها ويقسمون القوس بخطّ يقطع زاوية هاتين النقطتين الى قسمين من الشمال الى المركز فذاك الخط هو خطّ نصف النهار. ثمّ يخطّون خطًا آخر من نقطة دخول الظلّ الى نقطة خروجه فذاك هو خط الشرق والغرب. وهكذا كانوا يدلّون على الجهات الاربع (١. وهذه الطريقة يتخذها العلماء الى يومنا هذا لمعرفة خط نصف النهار اذا لم يمكنهم او لم يشاءوا ان يلتجئوا الى نجم القطب الشمالي

هذا ثمّ لقياس الزمان في العلوم الفلكية شأن كبير فترى باي طريقة كان العرب يدلون على الزمان وتقاسيمه ؟

اعلم انهُ لامرٌ ثابت اكيد ان العرب اتخذوا لقياس الزمان آلات عديدة يدعونها بتكامات منها مائية ومنها مليّة ومنها ما كان يتحرّك بالاثقال. ومما افادنا التاريخ عن الخليفة هارون الرشيد انهُ ارسل الى كارلس الكبير ملك فرنسة ساعة يدلُّ فيها اثنا عشر فارسًا على تقاسيم النهار الاثني عشر بان يخرج واحدٌ منهم في كل ساعة ويرمي على صنج كرةً يُسمَع لوقوعها دويّ عظيم. ولابن جبير في رحلته وصف ساعة وجدها في دمشق على باب جيرون (٢ ويدعوها الميقاتة قال :

---

١) راجع Mémoire de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres I, 98

٢) راجع مجاني الادب (٦: ٢٢٨)

« ومن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبه غرفة جعل عيثة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صفر وقد فتحت ابوابًا صغارًا على عدد ساعات النهار ودُبّرت تدابير هندسيَّة. فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فيمر البازيين يدّان اعناقهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيَّلهُ الاوهام سحرًا. فعند وقوعهما يُسمع لهما دوي فيمودان من الانقلاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق بابٌ تلك الساعة بلوح صُفر. فلا يزال كذلك حتَّى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها. ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر. وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس منزَّلة في كلّ دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ الماء على ترتيب مقدار الساعة. فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محمرَّة ثمّ ينتقل الى الاخرى حتَّى تنقضي ساعات الليل. وقد وُكّل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمَّى الميقانة »

فهذه الساعات كما ترى كانت تدل على حذق اصحابها ويستدلون بها على اقسام الزمان. ولكن لا اظن انها كانت تقوم وقتئذٍ مقام ساعاتنا الفلكية الّا انَّ ابا الحسن عليًّا المراكشي وصف في تأليفهِ آلة جيبيَّة وهي ربع من الدائرة كانوا يعرفون بها الزمن الحقيقي ليلًا ونهارًا برصد ارتفاع الشمس او احد الكواكب التي ثبت لهم معرفة مَيْلهِ وصعوده المستقيم واصطناع تلك الآلة مبنيّ على مسألة يُبحث عنها في علم الانساب

ولا حاجة الى القول ان المزاول كلها كانت تدلّ على الزمن الحقيقيّ في النهار يظلّ قائمها

هذه لُمحة موجزة اختصرناها عن آلات العرب الرصديَّة وهي كافية ليستدلّ بها القرّاء ما كان لمصطنعيها من علوّ الهمة ودقَّة الفكر. فيبقى علينا ان نختم مقالتنا بفصل آخر نبيّن فيهِ ان شاء الله النتائج العلمية التي نالوها بهذه الادوات العجيبة (١

(ستأتي البقية)

(١) انَّ العلّامة سيديلو (Sédillot) استحقَّ ثناء المستشرقين بما نشرهُ من التآليف في بيان فضل العرب في علم النجوم. الّا انَّهُ قد اخطأ في امور كثيرة فلا بدَّ للقارئ اللبيب من ان يعمل عامل الفكر والتمييز قبل ان يسلّم بصحَّة اقوالهِ

آراء الادباء

في باء المضارعة العاميَّة

نظرٌ للاب هنري لامنس اليسوعي

طلبنا من قرائنا الكرام ان يبدوا رأيهم في الباء التي يُدخلها العامَّة على المضارعة فاجابنا كثيرون باجوبة من شأنها ان تظهر للعلماء الاجانب ان الشرقيين يحسنون الخوض في مضمار المباحث اللغويَّة ويجارون الغربيين في فكّ المعضلات

وما كنَّا نحن لنعود الى هذه المسئلة فنبتّ فيها حكمًا فصلًا لولا كتاب حديث جليل الفائدة وضعهُ في هذا الصدد احد كبار المستشرقين الالمانيين الدكتور جرج كيفايز (١. والحق يقال ان مصنّف هذا الكتاب لم يألُ جهدًا في التنقيب عن باء المضارعة وعن المباحث اللغويَّة المنوطة بها. واليه استندنا في الملاحظات الآتية التي ندوّنها لفائدة الجمهور فنقول:

لا يمكن الوقوف على اصل باء المضارعة عند العامَّة الَّا اذا عرفنا اولًا موقعها الجغرافي اعني البلاد التي شاعت فيها هذه الباء العاميَّة ولم تزل. فانَّ حلّ المشكل متوقف على هذه المعرفة

دخول الباء على المضارع في لهجة العامَّة لواسع النطاق جدًّا فترى استعمالها شائعًا في كل انحاء الشام شمالًا وجنوبًا ثمَّ في مصر السفلى وفي الصعيد. وكذلك يستعملها اهل السودان المصريّ وقبائل بوربر العربيَّة واهل اليمن. امَّا بقيَّة جزيرة العرب فالامر لا يزال مبهمًا لم يتحققهُ العلماء (٢ والارجح انَّ اهل ما بين النهرين يجهلون استعمال هذه الباء العاميَّة

فممَّا سبق يظهر ان استعمال هذه الباء منتشر في بلاد واسعة. بل ينتج عن سعة امتدادها انَّ اصلها يرتقي الى شعب او قبائل كانت في غابر الزمان تسكن في مكان

---

١) واسم الكتاب في اصلهِ الالماني Die arabische Verbalpartikel b (m), *Marburg*, 1900, SS. 54

٢) راجع الافادات التي جمعها في هذا المعنى الدكتور كيفايز في كتابه ص ٣٠ و ٣١

واحد مجتمعة الكلمة ثمّ انشقّت عصاهم فتبدّدوا في انحاء شتّى فنقلوا خواصّ لغتهم الى حيث بلغ ملكهم

ورأي الدكتور كمپفاير انّ هذه القبائل هي القبائل اليمنيّة فانّ التاريخ يفيدنا انها امتدّت في اكثر البلاد التي شاع فيها استعمال هذه الباء العاميّة (١

ولكن إن صحّ أنّ اصل هذه الباء من اليمن أُترى يبيّن ذلك اشتقاقها ومعناها. كلّا واغًا هذا دليل يمكن الاستدلال به على القول الصواب وينكب عن الآراء الضعيفة السّند. وهاك مثلًا يظهر لك صحّة قولنا: ان بعضاً من مكاتبينا زعموا انّ الباء العاميّة منحوتة عن « بدّي » ولكن هذه اللفظة دارجة في لغة اهل الشام فقط (٢ فكيف شاع اذن استعمال باء المضارعة في بلاد لا يعرف اهلها كلمة « بدّي ». فيتحتّم البحث عن اصل آخر لهذه الباء.

ولكن هلمّ نفحص آراء مُكاتبينا الافاضل في اصل هذه الباء ثمّ نضيف اليها ما يلوح للمستشرقين الاوربيين من هذا القبيل لعلّنا نتوفق بذلك الى جادّة الصواب

والرأي الاوّل الذي ارتآهُ البعض في اصل الباء العاميّة انها كحرف جرّ قُدّم على الفعل. وهو رأي سپيتا بك (Spitta-bey) في كتاب لهُ عن لغة مصر العاميّة طُبع في ليبسيك (ص ٢٠٣) يوافقهُ رأي من زعم انّ الباء هنا « للقسم توكيدًا » وكلاهما رأي ضعيف يردُّهُ الانتقاد لما فيهِ من التكلّف الظاهر (راجع ما كتبهُ الاب انستاس الكرملي في المشرق ٣: ٤١٥). لاسيّما انّ مثل هذه الحروف لا تدخل عادةً على الفعل

الرأي الثاني ذكرهُ الاب انستاس على طريقة الحدس (المشرق ٣: ٤١٧) هو انّ الباء كانت متصلة بلفظة بمعنى « وقت او آن » كما يقول اهل بغداد « قَيكْتُب » او « قَتَيكْتُب » بمعنى « بهذا الوقت يكتب ». ولكن ما هو هذا الاسم او الظرف الذي بقي منهُ حرف الباء او أُبدل احد حروفهِ بالباء. ذلك امرٌ صعبٌ حاول حضرتهُ فكّ

---

١) راجع كتاب الدكتور كمپفاير ص ٣٢ ومجلّة المشرق ٣: ٦٨٧ و ٦٨٩

٢) راجع كتاب المعلم الفاضل يوسف حرفوش المعنون (Drogman arabe, p.46). وفي هذه المناسبة يحسن بنا ان نذكر ما اثنى بهِ على مؤلف هذا الكتاب العلماء الاوريّون. فان الدكتور كمپفاير يدعوهُ : « رجلًا محقّقًا مدقّقًا واقفًا على اسرار اللغة العاميّة »

مشكلة دون ان يقنعنا بالتمام (١ . لا سيّما ان جهل اهل العراق وما بين النهرين يجهلون استعمال هذه الباء فلم تبقَ في لسانهم أثرًا

وقد سعى كثير من العلما ان يعلّلوا باء المضارعة باشتقاقها من « عمّال » وهو رأي الاستاذ الفاضل الدكتور فُلرس (Vollers) في احدى المجلات . WZKM) (1892, p 171 قال انّ « عمّال » اختُصرت اولًا بقولهم « عمّ » ثمّ بحرف الميم . ثمّ قلبت الميم باء . وهذا القول لا ينافي قواعد علم الاشتقاق الّا انهُ بعيدٌ لا نظنّهُ يطابق لواقع الحال . والارجح انّ « الباء » و« عمّال » لفظتان جاريتان على لسان القوم دون علاقة بينهما

وقال غيرهُ وهو رأي الفاضلين الاب خليل اده وكنشاير دولة ايطاليا الجليلة يوسف كوركيس (راجع المشرق ٣ : ٣٧٧) انّ هذه الباء ليست مشتقّة من « عمّال » لكن هي حرف الباء اللاحق بهذه الكلمة في قولهم « عُمّال باكتب » بدلًا من « انا عامل بالكتابة » وعلى هذا الرأي أُهملت « عمّال » فبقيت الباء . ولنا على هذا القول اعتراضٌ وهو انّ باء الجرّ لا تعمل في الفعل بل في الاسم فقط . فليست هي اذن باء الجرّ (٢ . كما انها ليست باء التوكيد كما ارتأى الاديب جرجي افندي عطيّة (المشرق

---

١) وقد عاد الاب انستاس الى رأيه هذا في كتاب ارسلهُ الينا قال فيه : « انّ الظرف الذي نقلت منهُ الباء هو لفظة « آن » فقالوا في مثل « الآن اكتب والآن اروح » « آن أكتب وآن أروح » ثمّ « نَ كْتُب ونَ رُوح » ولكي تُميّز هذه اللفظة من جميع المتكلمين ابدلوا النون بالميم لمقاربتها في اللفظ وقالوا : « مَ كْتُب » وقد قيل انّ الدماشقة يقولون ذلك الى يومنا هذا غير انهم يسكنون الاول كما هو مألوف عادتهم فيقولون « مْكتُب » . ثمّ ابدل البعض الميم بالباء فقالوا في ذلك « بَكتَب وبروح » وابدال الميم بالباء كثير في العربيّة لمقاربة مخرجيهما . . . »

٢) قال حضرة الاب انستاس في كتابه تاريخهُ متصف آب : « طالعتُ في المشرق (٣ : ٣٧٧) الرأي القائل : « ان الباء متعلقة بمحذوف كثيرًا ما يظهر وهو « عمّال » فيقولون : « عمّال باكتب » اي انا عامل بالكتابة . فنقول : ان نقل لفظة « عامل » الى « عمّال » من المكن . لكن ان كان هذا هو متعلّق المحذوف فمن الواجب ان يُقال مثلًا عوضًا « باكتب » « بالكتابة » وان قلت مثلًا ليست اللفظة المقدّرة او المحذوفة هي « عامل » او « عمّال » بل هي فعل بمعناها : اي : « أعمل بأن اكتب » قلنا : لقد ذهب المقصود من المعنى لان لفظة الكتابة مثلًا من ذاتها تدل على هذا العمل فاي حاجة بعدئذٍ في تكثير الالفاظ على ما لا طائل تحتها . وبالاخص

٣:٤١٨) على مثال قولهم « بحسبك درهم » اي حسبُك لانَّ بين الجملتين بوناً عظيماً . وذلك انَّ « حسب » اسم فعل ليس لهُ خواصّ الفعل من الاقتران باحد الازمنة . والباء في دخولها على المضارع تخصُّهُ بالزمان

ولا نظنُّ انَّ احد العلماء يوافق جناب الكاتب المذكور بقولهِ « انهُ يمكن ان نعتبر هذه الباء مزيدةً على انَّ المصدريَّة . . فيكون على ذلك الاصل في « بيقول » « بان يقول » . ولا بقولهِ « انَّ هذه الباء مقتطعة من « بذا » حرف جرّ واسم اشارة » . لانَّ كلَّ ذلك تخمين لا يظهر سندهُ

وتزيد على هذه الاراء رأياً جديداً عرضهُ علينا حضرة القس الفاضل جرجس منش الحلبيّ في مقالةٍ حسنة لم يسمح لنا ضيق المكان باثباتها (١ وهو انَّ الباء متلوبة عن حروف المضارعة « أنيتُ » . لكنَّنا لا نفهم كيف أُبدلت هذه الباء من حروف المضارعة وهي تدخل عليها فيقولون « بأقتل » او بحذف الهمزة « بَقتُل » ثمَّ يقولون : « بْقُتْل بْيقْتل بْنقْتل » مع ثبوت حروف المضارعة

ومن الآراء المنبوذة رأي الدكتور فَرْمُند (Wahrmund) الذي زعم انَّ هذه الباء اصلها من الفارسيَّة (٢ . الَّا انَّ الدكتور كيفنير (ص ١٧) ابطل زعمهُ هذا وبيَّن لهُ انَّ هذه الباء من خواصّ العربيَّة الدارجة بين العامَّة لا علاقة لها مع الفارسيَّة . والدليل على ذلك انَّ القبائل المجاورة لبلاد العجم في العراق وما بين النهرين لا تعرف هذه الباء

امَّا الرأي الاخير الذي يرجحهُ كثيرون من العلماء فهو انَّ هذه الباء منحوتة عن الفعل

لمَّا نعرف ان العامة تحبُّ ان تعبر عن افكارها بعبارات مختصرة . ومن ذلك وقوع الاختزال في جميع الفاظها

١) وقد بيَّنَّ حضرتهُ انَّ هذه الباء استُعملت في مواطن عديدة كالطلب والنفي والوعد والوعيد والريب والتوقُّع والتأكيد والشرط وضرب على كل ذلك امثالاً . ثمَّ وجَّه هذه الباء الى تعاليل ثلاثة على حسب مواطن وقوع الباء فتكون على رأيهِ امَّا منحوتة من « بدّي » بدلاً من « بودّي » . واما باء التعدية « عمّال باكل » اي « عمّال بما آكل » وقد مرَّ ذكر مذهبي الرأيين . والرأي الثالث هو الذي نشير اليهِ

٢) راجع كتابهُ في اللغة العربيَّة العاميَّة (Manuel pratique de l'arabe moderne, p. 2 ed. 1880, n. 89)

ولكن لم يتّفق العلماء على تعيين هذا الفعل. فمنهم من يقول انهُ فعل « بدأ » وهو رأي حضرة الخوري الياس زيادة (١ (م ٣ : ٤٧٧). ومنهم من يريد انهُ فعل « بات » وقد دافع عن هذا الرأي حضرة اللغوي الفاضل الاب جبرائيل رزق (م ٣ : ٥٥٨) وأيّد قولهُ بامثال تقرّب الامر وتجعلهُ جديرًا بالاعتبار. ومنهم من يفضل فعل « ابي يبي » بمعنى اراد. وهو فعلٌ كنّا نجهل وجودهُ

لكنَّ السياح الاوربيين لسانٌ واحد في تقرير وجود هذا الفعل في انحاء كثيرة. فان العلّامة سوسين (Socin) اثبت استعمالهُ في بلاد نجد. والمسيو وتشتين (Wetzstein) تحقّق وجودهُ في دمشق. وهو مستعمل في حضرموت واليمن كما روى الكنت دي لندبرغ (٢ والدكتور شتومه (Stumme) دلّ عليه في تأليفهِ عن لغة العامّة في تونس وطرابلس الغرب. وقد وجدهُ في المغرب الدكتور كيفاير (ص ٨) واثبت ذلك بادلة حسنة. امّا اعتراض المعلم نعيم افندي صوايا لهذا الرأي (م ٣ : ٤١٧) فقد اجاب عليهِ حضرة الاب انستاس بما يلي :

طالعتُ ما كتبهُ حضرة المعلم الفاضل نعيم افندي صوايا وما اورده نقلًا عن المقتطف. فرأيتُ فيهِ ما يمكن ان يُقوّم ذاك الرأي بالوجه الآتي : ان الفعل الذي هو بمعنى اراد في قول عرب المتزة : « انا أبي اروح » هو من بَأَى يَبْأَى على موجب الصرفيين (لانهُ من مهموز العين) وبأى يبئي على انهُ مبدلٌ من بعى يبعي وهذا عن بغى يبغي بالنون. ثمَّ حذفوا اخيرًا الهمزة طلبًا للعفّة فقالوا : « بَى يَبِي » واذا تمهّد ذلك يسهل عليك معنى قول المتريّين : « انا ابي اروح معك. وهذا الّي تبيو. واس كُنّا نبي لكلا . . . وبى نسافر نحدوهُ »

اما حذف الهمزة في الكلام العامي والفصيح فلا حاجة الى التصريح بهِ لكثرتهِ . . . فحسبك ان تأخذ القاموس مثلًا بيدك وتنظر باب الهمزة ثمَّ تقابلها بباقي الواو والياء فترى العجب من ذلك

على انهُ يمكن ان يؤيد مذهب الكونت بالوجه الآتي : ان اصل « أَبَى يَبِي » أبى يَأْبِي الذي هو

---

١) راجع تأليفهُ Arabica III 102

٢) كتب لنا حضرة الاب انستاس في هذا الرأي ما حرفهُ : واما الرأي القائل : « ان الباء مقطوعة من فعل « بدأ » فيكون معنى « با كتب » ابدأ اكتب فهو دون الرأي الاول يريد رأي من يقول انَّ الباء متعلّقة بمحذوف كقولهم « عمّال باكتب . لان العمل في المذهب الاول يُقيّد المعنى بقيد الحالية وهو المقصود من ادخال الباء على الفعل. امّا « البدء » فيدل على الشروع لا غير. والحال انك ان قلت « با كتب » فليس مرادك الشروع بالكتابة بل انك في حالة الكتابة

مقلوب آب يَزوب الذي يقول فيه الأزديُّون آب يَئيب بمعنى قصد يقصد كما قال الفصحاء من العرب في « آن يَئين » ترقيق حان يحين: « انى يَأني » (ومنهُ اشتقاق الإنو والإني والاناء بمعنى الوقت). وهذا الرأي (رأي القلب) وان لم يصرّح به اصحاب المعاجم فان اللغويين اجمعوا به فنهم ابو عُبيد في كتاب الغريب المصنَّف في باب المقلوب. ومنهم ايضاً صاحب المزهر (١ : ٢٢٢ في السطر الاول). ثمَّ خُفّفت همزة يأبي بحذفها فصارت يَبي كما رأيت فُويق هذا. وكما ان القصد والارادة متقاربا المعنى لم يعسر نقل معنى الاول الى معنى الثاني

اما قول المعلم الفاضل صوايا افندي: « ولا اظنُّهُ مصيباً لاسيما وقد سمعت هذه الباء مع مضارع ابى » فلا يعني شيئاً. لانهم لمَّا اخرجوا معنى القصد الى الارادة ومعنى الارادة الى مجرَّد معنى المقاربة اصبح ذلك اللفظ بمنزلة الاداة تستعمل للحالية لا غير بدون اعتبار الاصل. وعليه فقد جاز بعد ذلك استعمالها مع كل فعل وان كان مناهُ الارادة. واما عدم اجتماعها مع بُدّي فهو لاجتناب لفظ الباء المتكرّرة التي تثقل على اللسان

فمن هذه النبذة ترى انَّ حضرة اللغوي المحقّق الاب انستاس ينحاز الى رأي العلماء الاوربيين. وكان في مقالة سابقة (م ٣ : ٤١٦) آثر على « أبى » فعلاً « آخر هو « بأى يبني » بمعنى اراد ترقيق « بنى » وهو رأي ارتآهُ قبلهُ العلاَّمة وتشتين (Wetzstein)

امَّا نحن فمع تفضيلنا قول العلماء بان الباء العاميَّة مقطوعة عن « ابي يبي » لا نحبُّ ان نجزم بهذا الامر حكماً

وخلاصة القول انَّ الباء العاميَّة كما سبق كانت شائعة في الاقطار التي توطَّنتها القبائل اليمنيَّة. ولعلَّ هذه القبائل نقلتها الى العربيَّة من لغة سابقة كانت تتكلَّمُ بها في جنوبي جزيرة العرب. ومما يزيد على رجحان هذا الرأي اننا نجد هذه الباء في اللغة الحميريَّة كحرف يناسب باء العاميَّة العربيَّة ويقدَّم على المضارع: ذلك قول الدكتور كيغماير في كتابه (ص ٣٨) يؤيدهُ بملاحظات شتَّى لغويَّة يسندها الى لغتي حمير والحبشة ولا يسعنا ان نخوض في البحث عنها. وانما نرجح القول انَّ حلَّ مشكل اصل الباء لا يتم الا بدرس لغة جنوبي بلاد العرب. فكل هذه الفوائد تجعل كتاب الدكتور كيغماير ذا شأن وخطر فنشير الى قرَّائنا الذين يعرفون اللغة الالمانيَّة ان يطالعوا هذا التصنيف لعلَّهم بمراجعته يجدون ما يرشدهم وإيَّانا الى الصواب. ونثني في ختام هذه النبذة على همَّة مكاتبينا الذين ساعدونا في البحث عن احد مشاكل لغتنا العاميَّة ونتمنَّى من فضلهم ان يطرقوا باباً آخر مثلهُ ولهم منَّا سلفاً الشكر العميم

الشهامة في حب الوطن

طرفةٌ سرّيّة بقلم المعلم الفاضل يوسف ابي سليمان

في آخر الحرب العبوس التي استعرت نارها ما بين الفرنسيس والألمان سنة ١٨٧٠ لمّا كبا زندُ الفرنسويين وولّى أمرهم اقبلت فرقةٌ عظيمةٌ شعواء من العساكر الفرنساوية الى قرية من مقاطعة لورّان (Lorraine) وكانت قد انحازت عن العدوّ وهي تسعى جهدها في الانضمام الى معظم الجيش الذي تخّت عنهُ وانفصلت . الّا انّ كثرة الآجام والغابات في تلك الاراضي قد حالت دون مرامهم وسدّت في وجوههم المسالك والمذاهب فارتعدت لذلك فرائصهم فضلًا عمّا كان يعتريهم من الخوف والذعر لعدم معرفتهم بقوّات الالمان ومراقبهم . فايقنوا من ذلك بوقوع الواقعة وترول النازلة

وما وطئت طليعتهم ارض القرية المرقومة حتى اوقف القائد كامب الفرنسي عسكرهُ خارج البلدة واستدعى من هناك أُولي الامر فوجد أنّ السُّكان وعمّال الحكومة قد أخلوها مرتحلين عنها فلم يبقَ فيها سوى راعي النفوس (الخوري) يقوم بخدمة العجزة الذين لا قدرةَ لهم على الفرار ولا طاقة لهم بمشقاته الشاقة

فما عتم إذن أن اقبل الكاهن وكان اسمهُ بونتاك (Pontac) على القائد فرآهُ يحدّقُ الى خارطةٍ صغيرةٍ بيدهِ ليتبيّن تلك الاراضي ويعرف ما فيها من المخادم والمخارج . غيرَ ان صغر الخارطة وما فيها من النقص في رسم الامكنة قد جعل القائد مرتبكًا لا يرى لهُ في امرهِ وجهًا يسلكهُ ولا نهجًا يهتدي اليهِ

فلمّا حضر الكاهن نظرَ اليهِ القائد نظرةَ يأسٍ خائب الامل لما التمحهُ في هيئتهِ من السذاجة فظنّهُ غير اهل للقيام بما كانت تنتدبهُ اليهِ مخاطر الحرب وطوارئها

وكان الكاهن ينيفُ على السبعين من عمرهِ وكانَ قصير القامة بادنًا شديد البنية أغلبَ أوقصَ . ذا وجه منتفخ ويدين وارمتين . ورجلين منعولتين بعداسٍ خشن . يتوكّأ على عصاهُ كأنّهُ كلما قام وكع . فقال للقائد : لا تؤاخذني أنا مصابٌ بداء النقرس واني كما تراني من أحقر الناس واذلهم

واما القائد الذي كان من النباهة والفطنة بمكان فحدّق الى الكاهن ولم يلبث ان توسم فيهِ حذقًا وذكاء . فانّهُ كان ذا عينين . صغيرتين برّاقتين . أوطف . بفم يفترُّ

افتراز الظرافة والدهاء. وهيئةٍ رويّةٍ تدلّ على كرم النفس وسلامة القلب. وذلك ما جعل القائد يرى فيه وجلًا ذكيًّا عبقريًّا حرًّا

وكان القائدُ في عنفوان شبابهِ غيرَ ان الحرب اتعبتهُ واضنكتهُ. فقعدَ على صفّةٍ وامامهُ دكّةٌ صغيرةٌ على قارعة الطريق الكبرى. فأجلس الكاهن الى جنبهِ والخارطة الصغيرة على مرأى منهما. ثمّ إن القائد قال وهو يتبسم استخفافًا بصاحبهِ: ها إني عازمٌ على عقد مشورةٍ بيني وبينك فيركلٌ منا في الحرب رأيهُ

فمدَّ الكاهن يدهُ الى جيبهِ واخذَ علبة السعوط ففتحها على مهلٍ ثمّ نشقَ نشقةً عظيمةً فقال جذلًا مسرورًا:

« بودّي ايُّها القائدُ لو أنّني أذكرك بأنَّ التاريخ يُرينا في كل عهدٍ ان كنيسة المسيح أثارت مشورات حكام الارض بآرائها الصائبة ونصائحها الصادقة وانها هدَتْ القوّاد والعساكر الى صراطٍ مستقيم. . . لكنا نحن في موقفٍ حرج. فهات ما عندك في الامر: ما غرضك مولاي؟ من اين انت آتٍ؟ والى اين انت ذاهب؟ أقائمٌ أنتَ للحربِ ام قاعدٌ عنها؟ »

فاجابهُ القائد على كل هذه الاسئلة وقد ركن اليه واطمأنَّ. فاخذَ الكاهن آنئذٍ قلم رصاص ورسم على الخارطة خطوطًا فقالَ للقائد:

« انَّ بينكم وبين العدوّ مرحلةٌ بل مرحلةٌ ونصف مرحلةٍ فلا يدرككم قبل صباح غدٍ. وعسكرك لغبٌ جائعٌ فان رأى القائد أن يدعهُ يريح يومهُ هذا فليفعل. والحذر الحذر من الاستراحة داخل القرية فانها تحدقُ بها التلالُ والآكام ووراء الاكمةِ ما وراءها. ولكن على خمسة اميالٍ من القرية هضبة مستديرةٌ يكتنفها النهر حتى يكاد يجعلها شبهَ جزيرةٍ وهي كثيرة الآكام ملتفّة الاشجار. فهناك تكونون في مأمنٍ من كلّ غائلة

ثمَّ انَّ العدوَّ إن تبع اثركم لا يسلك الطريق اللاحب الذي هو اطول من المقرب (القادومية) لأنهُ لا بدَّ لهُ حينئذٍ من أن يعبر الجسر كما رأيتَ. والبروسيان لا يجسرون على قطع الجسر مخافةَ ان يسقط بهم لو عبروهُ. وعليهِ فأراهم سيتحازون عن الطريق المطروقة ويجتازون في هذه الغابة التي ترى (واشار الى حرجةٍ قريبة من هناك) فلا يبلغون هذا المكان حتى صباح غدٍ

« على اني اعدكم الوعد الصادق ان طلائع العدوّ لا تطلع علينا حتى تسمعوا دقّ الجرس في كنيستي دقًا متواترًا. وحينئذٍ ينصرف العشرون او الثلاثون جنديًا الذين تبقيهم في الضيعة من غير ان يطلقوا بنادقهم طلقًا واحدًا . ولا يكون انصرافهم في معظم الطريق بل في مضيق أدلّهم عليهِ لئلا يهتدي العدوّ الى موقعكم . اما انتم فعليكم ايضًا ان تعدلوا عن الطريق العظمى وتسيروا بيمنٍ الى الشمال من حيث ترون الفندق المعروف بفندق « الفرس الاشهب » وهكذا تأمنون من شرّ الطغاة ويفرق بين القومين النهر الذي لا مخاضة ولا معبر لهُ بتةً . وتحجبكم عنه الابصار تلالٌ وآكامٌ فلا يراكم احدٌ سحابةَ يومكم حتى تبلغوا معسكر الجيش الذي تقصدونهُ

« وها انا ادلك على بعض بيوت القرية فتجد فيها ما يضمن لك قوت عسكرك وسائر لوازمهِ . فانا أقيد كل ما تأخذونهُ وتعطيني أنت بهِ وصولًا موقعًا بامضائك. ولكن ارجو منك في ذلك تمام النظام ورعايةَ الحرمة لمقتنى الغير . فجميع السكان يساعدون على مصروف الجيش كلٌّ بحسب استطاعته . فإنهُ أفرضٌ واجب علينا أن نقوم بمعاش من يناضلون عنّا ويحمونا من غارات العدوّ . هذا وهل يليق بنا أن نضنّ على اصحابنا . الآن بما سيحرمناه العدوّ غدًا نهبًا وسلبًا ؟ »

ثمّ انّهُ وقف غير طويل ثمّ قال وهو يستعطُ السعوط الطيب :

« هلمّ الان مولاي مُر لي باربعة انفارٍ من الصناديد الاشداء فيكون اثنان منهم في قبّة الجرس كقيمين يرقبان الآفاق ويتنبهانها . واكنُ انا والاثنان الآخران في مدخل القرية قرب المعبد العتيق فنكون نحن ثلاثتنا طلائعَ الجيش نوافيكم بالاخبار عن حركات العدوّ . هلمّ اختر لي جنديين يكون لهما جلدٌ وصبرٌ على برد الليل ودفع سنّة الكرى . أعطني جنديين بطلين منجّذين حنكتهما التجارب . فإنهُ لا علم لي ولا دراية بما سيكون من امرنا هذه الليلة »

قال القائد : بحياتي ايها السيد لا اعدمكَ الّا بطلًا

فقهقه الكاهن قهقهةً عظيمةً فاستعان بعلبة السعوط فقال وهو يستعط من سعوطهِ الطيب :

« ان في مصفّ دُعاة الدين ابطالًا لا عددَ لهم كما انّ في الثُكن أبطالًا معدودين

وشتّان ما بين هؤلاء واولئك . . . ولكن ما لنا وهذا الحديث . افتعجب ايها القائد من حبّنا للوطن او ليس حبُّ الوطن من الايمان »

فمدَّ لهُ القائد يدَ المصافحة مشعرًا باكرامهِ وجعل يرمقهُ بعين الاعتبار . فتبسم الكاهن تبسُّمَ رجل طيّب السريرة سليم الطويّة ثمَّ قال:

« متى اصدرتَ اوامرك ونال كل جندي نصيبهُ من الاكل والراحة أذهبُ بك الى منزلي فتجدُ هناك عُجّةً طيّبةً وفرُّوجًا مقليًّا وخمرًا رحيقًا فنجتمع على الطعام تأكيدًا للمودّة والانس »

قال ثمَّ انطلق يتوكّأ على عصًا من خيزران قد ورثها عن سالفهِ تذكرةً ثمينةً

ثمَّ ارخى الليل سدولهُ فطال وقوس بردهُ قرسًا . وكنت ترى تحت صُفَّةٍ او سقيفةٍ من عيدان الشجر تقوم على اربعة اعمدة لا جدران لها ثلاثة يتلطَّون على العدو خلف حزمٍ من قضبان الزَّرجون وكلُّهم آذانٌ واعيةٌ صاغيةٌ الى اقل حركة وهم يضربون بابصارهم نحو كل جهةٍ . فكانوا ينتظرون العدوّ في هجعات الليل والعسكر نيامٌ . وكان اثنان من الكمناء في غلواء الشباب من اشدّ الرُماة بأسًا واسرعهم إطلاقًا راضطهم رميًا يستند كلٌّ منهما الى بندقيتهِ . اما الثالث فكان اشيبَ مجلّلًا متجلببًا بجلباب اسود وبيدهِ ناقوس المذبح وكان يرقب العدوّ عن بُعد ليدقَّ جرسهُ اذا ما شاهد البرسيان مقبلين وتلك علامة لذينك الرَّاصدين في القبَّة ليدقّا الجرس الكبير دقًّا عنيفًا متواترًا إيقاظًا لسائر العسكر

وكان في السقيفة سكوتٌ عظيم لا يسمع فيهِ سوى ركز الكاهن الشيخ الذي كان يصلي الى الله صلاةً خاشعة حارَّة . ففي الهجعة الثالثة من الليل قال احد الراميَين: لا ارى هؤلاء الاجلاف يأتون الينا هذه الليلة . فحريٌّ بنا ان نفرَّ من هنا او نؤوب الى قومنا

ولم تمضِ بضع دقائق حتى وضع الكاهن شمالهُ على كتف الجندي واشار لهُ بيمينهِ الى موضع في اقصى الغابة لا يراهُ الّا الذي منحهُ الله بَصر زرقاء اليمامة . فانهُ على مسافةٍ قريبةٍ من تلك السقيفة كانت خميلةٌ واسعةٌ تحيطُ بجهاتها الاربع اشجار باسقةٌ وتعرف عند اهل تلك البلدة بغابة المين . يذهبون اليها في مخرفٍ يصلح لمرور

المركبات. إنما ذلك الطريق اللاحب كان ليلتئذٍ فارغاً من المارّة يتمكن البصر الجيّدُ من رؤيته حتى أقصاه

غير أنهُ لم يكُ يلوحُ للجنديين غير اشجارٍ لا حركةَ لها وادغالٍ يتلاعب فيها نسيم الصبح فيُسمع لها حفيفٌ خفيفٌ لطيفٌ

وما زالا يحدّقانِ الى ذلك الموضع وهما لا يريان ما يرى الى ان كلمهما الكاهن هما:

— ألا تنظران جيش العدوّ؟ صعِدا فيهم البصر وصوّبا... ألا انهم ماشون وراء جذول السنديان متسترين... لقد وقفوا ليسمعوا...

الرامي الاول: — لستُ ارى شيئاً

الرامي الثاني: — ولا انا ارى شيئاً

الكاهن: — انهم يتجمعون واوشكوا ان ينقضّوا علينا

— ها إنّ قائدَهم يكلّمهم همساً

— لقد آن أنْ الدقّ.. فها انا داقٌّ بناقوسي هذا تنبيهاً لقومنا.. امّا انتما ايها الغزيزان فانسلّا من هنا وتواريا عن ابصارهم بحفظ الله

الراميان سويةً: — بابي أنتَ وأمي! ماذا يحلُّ بك لو تركتناك عرضةً للهلاك؟ لا لا إنّا والله لنمكثنّ ولنمنعنّك مما تمنعُ منهُ انفسنا حتى تفنى ارواحنا!

الكاهن: — ولداي! ما انا الّا هرمٌ قريبٌ من شفا الرمس راجٍ من الله في وجهي هذا خيرًا... وامّا انتما فعليكما بالرضوخ لامر القائد الذي يأمركما بالانصراف اليهِ عند قرع هذه الجريسة. فاطيعاهُ ولا تخالفا لهُ امرًا وها أنا لكما مباركٌ فاذهبا بسلام

قال فقرع جريستهُ قرعاً سريعاً عنيفاً ولم يكن كارتداد الطرف حتى اجابهُ قرع الجرس الكبير بالمثل

وللحال أطلقت البنادق وسقطت القنابل وعلت الصيحات وأُصليت نارٌ حاميةٌ سدّ دخانُ بارودها الفضاء حتى خُيل ان نارًا جهنّميّة تلتهم ذلك الحرج التهاماً

فسجدَ كاهن الله على الحضيض ثمّ رسم اشارة الصليب فصلى لربّهِ هذه الصلاة: «ابانا الذي في السماوات...» فاصابتهُ رصاصة فسقط

اما السريّة الفرنساويّة ففرّت في المضيق الذي اشار اليه الكاهن في الامس فبلغت معسكر اللواء عند العشاء ولم تخسر وقتئذٍ من رجالها رجلًا واحدًا

ولمّا ان ضمّ القائد فرقتهُ الى سائر العساكر اخبر اميرَ اللواء بكلّ ما جرى لهُ مع الكاهن فقال الامير آسفًا: « يا لهُ من كاهن بطل لقد ذهب شهيد الوفاء فله والحبّ للوطن »

على انّ الكاهن لم يكن قد أُصيب بغير جرح خفيف لا يُخشى فيهِ من خطر. فنقلهُ الألمان على عجلة الى معسكرهم ثمّ احضروهُ مجلسًا حربيًّا فحكموا عليهِ بالاعدام جزاء خيانتهِ للعساكر الالمانيّة. غير انهم عدلوا عن قتلهِ حرمةً لجلال السن والكبر فقضوا بحبسهِ مؤبدًا

فلمّا قِيد الى المانية اتفق انهُ التقى بالقائد الذي كان يزعم ان الكاهن الغيور قد مات قتيل الشهامة والمروّة. فدنا منهُ فقال ضاحكًا: كيف وجدت عجّتي ؟ فعرفهُ القائد واجاب على فورٍ وعيناه مغرورقتان بالدموع: « سيدي ما انت الّا بطل ». ثمّ وثب كلٌّ منهما على عُنق صاحبهِ فتعانقا طويلًا »

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٤ (المطبعة السوريّة) هي المطبعة الرابعة التي أُنشئت في بيروت كان تاريخ إنشائها سنة ١٨٥٧ بهمّة صاحب السعادة والشاعر المجيد خليل افندي الخوري مدير المطبوعات سابقًا. وكانت الغاية الاولى من انشائها إصدار جريدة لولاية سوريّة وكان هذا المشروع يقتضي في تلك الأيام عزيمةً كبرى ونفقات طائلة غير انّ هذه الاعتبارات ما كانت لتثبّط جناب منشئها عن العمل. فقام بهذا المشروع واصدر جريدتهُ الاسبوعيّة المعروفة بحديقة الاخبار جعلتها الحكومة السنيّة جريدتها الرسميّة. وهي اول جريدة عربية ظهرت في بلاد الشام بل وفي غيرها من البلاد العثمانيّة الّا جريدة تركيّة صدرت

مدّة اسمها « جريدتي حوادث » . وكانت حديقة الاخبار في اول الامر عربية محضة . ثم صدرت في العربيّة والفرنسية معاً سنة ١٨٧٠ . وهي لا تزال على ذلك الى يومنا (١ . اما ادواتها فقد استُجلبت من فرنسة وانكلترة . وقد اخذ صاحبها شيئاً من حروف مطبعتنا

وقد صدر من هذه المطبعة بعض التآليف نورد هنا اسماءها حسب تاريخ نشرها : ١ً انقوانين التجاريّة (١٨٥٩ : ص ٦٦) = ٢ً قانون الجزاء العثماني = ٣ً الدستور (جزءان) ثم جُدّد طبعهُ في المطبعة الادبية = ٤ً ديوان المتنبّي ضبطهُ وعلّق حواشيهُ المعلم بطرس البستاني (١٨٦٠ — ١٨٦٧ . ص ٢٧٢) = ٥ً رواية مداموزيل مالابيار تعريب سليم افندي بسترس (١٨٦٠ . ص ٨٤) = ٦ً وَيْ اذن لستُ افرنجي . رواية خليل افندي الخوري (١٨٦٠ ص ١٦٢) = ٧ً ديوان الشيخ عُمر بن الفارض (١٨٦٠ . ص ١٠٦) = ٨ً التحفة الشهية في الرحلة السليمية (١٨٦٣ . ص ١٢٢) = ٩ً العصر الجديد من نظم خليل افندي الخوري (١٨٦٣ . ص ٣٦٠) = ١٠ً الفرائد الفؤادية في ترجمة ومدح فؤاد باشا (١٨٦٣ . ص ٧٤) = ١١ً سيرة رافع الطلياني (١٨٦٤ . ص ٦٠) = ١٢ً تكملة الدر لصبحي باشا عرّبهُ خليل افندي الخوري جزءان (ص ١٨٣ و ١٠٦) = ١٣ مقامة الامام الخوري ١٢٨٠ (١٨٦٣) ص ١٤ = ١٤ً تذكار الصداقة (١٢٨٦ — ١٨٦٩ م . ص ٩٣) = ١٥ً السمير الامين من نظم خليل افندي الخوري (١٨٦٨ . ص ١١٨) = ١٦ً لائحة تتضمّن ما ارتكبهُ البروسيون في فرنسة من الفظاعات (١٨٧١ . ص ٩٥) = ١٧ً مواقع الافلاك في وقائع تليماك . تعريب رفاعة بك بدوي رافع (١٨٦٧ . ص ٢٩٣) = ١٨ً خرابات سوريّة لاسكندر بك ابيكاريوس (١٨٦٧) = ١٩ً رواية عائدة ذات خمسة فصول لسليم خليل افندي نقّاش (١٨٧٥ . ص ٦٠) = ٢٠ً آثار الادهار قسمان تاريخي وجغرافيّ لسليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاده (١٨٧٥ . ص ٧٨٥) لم يكمل طبعهُ = ٢١ً قصّة المركيز دي مونتج . الى غير ذلك مما لم نتحقّقهُ

٥ (المطبعة العمومية) منشئ هذه المطبعة هو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون الماروني (٢ خدم وهو في ريعان الشباب في مطبعة سعادة خليل افندي الخوري بصفة مرتب حروف ومصحح مطبوعات مدّة سنتين . ثمّ استدعاهُ فؤاد باشا

---

١) وقد اخذنا كثيراً من هذه الفوائد عن سعادتلو خليل افندي الخوري بنفسهِ . فنشكرهُ على لطفهِ وجذه النسبة نحتهُ على سلامتهِ ونتمنّى لهُ عمراً طويلاً رغماً عمّا كتبهُ حضرة اللوذعي الاديب والشاعر اللبيب محمّد حسني افندي العاريّ في كتاب تحفة الالباب في تاريخ مصر وشعراء العصر (ص ٢١٦) حيث قال : « فقيد الادب المرحوم خليل افندي الخوري مدير يوميّة سوريا المتوفّى في اواخر سنة ١٨٩٤ » . فللهِ درّهُ من عالم لوذعيّ يعرف مشاهير زمانهِ ويدقّق عن سنيّ وفاتهم

٢) كان يوسف الخوري حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير المالطي المشهور

معتمد الدولة العليَّة على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسية وتُرسل الى سفراء الدول ومعتمديها في بيروت والاستانة العليَّة. فاشتغل يوسف الشلفون بهذه القرارات الى اوائل سنة ١٨٦١ حتى تمَّ نظام جبل لبنان وتقرَّرت السكينة

وفي تلك السنة استأذن المذكور الدولة العليَّة بفتح مطبعة على حسابه الخاص فنال الرخصة المطلوبة وانشأ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العمومية سنة ١٨٦١ وجعل ينشر المطبوعات المفيدة والكتب الادبيَّة والروايات والمنشورات التجاريَّة وارواق الحكومة الرسميَّة مدَّة سنتين. فسمع بهِ المرحوم داود باشا اول متصرّف جبل لبنان فاستقدمهُ ليساعدهُ على فتح مطبعة في مركز المتصرفية. فاجاب الى دعوتهِ وسلَّم اشغال مطبعتهِ في بيروت الى من يثق بامانتهم وانعكف على تنظيم المطبعة اللبنانيَّة فرتَّب ادواتها ودبَّر كل احوالها الى ان صارت تامَّة الاهبة قادرة على نشر التآليف المفيدة فعاد الى بيروت واخذ يهتم بتوسيع نطاق مطبعتهِ

ثمَّ استرخص من نظارة المعارف بنشر الجرائد فنشر منها اربعًا: الاولى جريدة الزهرة وكانت اخباريَّة انشأها في غرَّة سنة ١٨٧٠ وواجت سوقها نحو سنتين فألغيت لبعض الاسباب. الثانية النَّحلة انشأها القس لويس صابونجي وطبعها اولًا في المطبعة الخلصية ثم نقلها الى المطبعة العمومية مشتركًا مع يوسف افندي الشلفون بعد جريدة الزهرة باشهر قليلة نُشرت فيها بعض الفصول الادبيَّة والعلمية الحسنة ثمَّ أُبطلت مع الزهرة. الثالثة جريدة النجاح كانت اخباريَّة سياسية اصدرها ايضًا يوسف الشلفون سنة ١٨٧٠ وكانت تظهر في كل اسبوع مرَّة واحدة ثمَّ مرَّتين الى ان صارت يومية وهي اول جريدة يومية ظهرت في بلاد الشام (وليست جريدة الاحوال كما ظنَّ صاحب امتيازها) ودامت الى سنة ١٨٧٤. والرابعة جريدة التقدُّم وسيأتي ذكرها

وكان المرحوم يوسف الشلفون عقد سنة ١٨٧١ شركة مع رزق الله افندي خضرا لنشر الكتب الدينية والمؤلفات الادبية على شرط ان يقتسما نفقات المطبعة وربحها قبقيا على ذلك مدَّة حتى باع يوسف الشلفون من شريكهِ امتياز جريدتهِ ومطبعتهِ العمومية ومذ ذاك الوقت صارت المطبعة العمومية بيد رزق الله افندي خضرا يشاركهُ في

اعمالها سيادة الخبر الفضـال المطران يوسف الدبس وصار اسمها « المطبعة العموميَّة الكاثوليكية »

اما يوسف الشلفون فانهُ استرحم من جديد نظارة المعارف فرخّصت لهُ سنة ١٨٧٤ بفتح المطبعة الكلّية وإنشاء جريدة التقدّم التي ظهرت مدَّة ثلاث عشرة سنة وكتب فيها بعض الكتبة البارعين لولا انَّهم تعرَّضوا مرارًا لامور الدين التي كانوا يجهلونها . وبقيت المطبعة الكلّيَّة على هذه الحال الى ان استأجرتها عمدة اخويَّة القديس جاورجيوس للروم الاورثدكس مع بقاء الامتياز والنظارة والمسئولية على صاحب الجريدة . ثمَّ توفي المرحوم يوسف الشلفون سنة ١٨٩٥ فصار امتياز المطبعة والجريدة الى ابنهِ

وهـذه اسماء الكتب التي صدرت من المطبعتين العمومية والكلّيَّة وتضيف الى الاولى ما صدر في المطبعة العمومية الكاثوليكية وفي مطبعة المصباح لانهـا كلها مطبعة واحدة:

١ المطبعة العموميَّة (١٨٦٢ ـ ١٨٧٧)

١ (الكتب الدينيَّة) ١ً زياح الشهر المريميّ لانطون الشلفون (١٨٦٣ ص ١٠٠) = ٢ً قوانين اخويَّة العذراء البريئة من الدنس (١٨٦٥ . ص ٢١٤) = ٣ً صلوات خشوعيَّة لنظم الحياة الروحيَّة للخوري جرجس عيسى الراهب الباسيليّ (١٨٧٢ . ص ٢١٨) = ٤ً مرشد المشخصين للخوري لويس توني (١٨٧٣ . ص ٥٢٧) = ٥ً مختصر التعليم المسيحيّ لاحد الآباء الغازار يين (١٨٧٥ . ص ١٥٠) = ٦ً قداسة الكاهن للخوري يوسف العلم (١٨٧٥ . ص ٢٧٣) = ٧ً مناجاة يسوع لقلب الكاهن للاب برنادارس مونتي . عرَّبهُ الخوري يوسف العلم (١٨٧٦ . ص ٤٠٨) = ٨ً تحفة الارشاد لكنيسة نفوس العباد للقسّ يوسف الشبابي (١٨٧٦ . ص ٢٢٤) = ٩ً اجتناء الاثمار في تكريس شهر ايار للاب اسطفانوس برسالي عرَّبهُ القس يوسف الشبابي (١٨٧٦ . ص ٢٤١) = ١٠ً الحقائق الادبيَّة في تهذيب الحياة الروحيَّة للقديس منصور دي بول تعريبهُ لهُ (١٨٧٦ . ص ١٩٣)

٢ (كتب المواعظ والتفاسير) ١ً العنوان العجيب في رؤيا الحبيب تأليف القس يوسف الحلبي (١٨٧٠ . ص ٦٣٤) = ٢ً تيسير الوسائل في تفسير الرسائل للخوري يوسف العلم (١٨٧٣ . ص ٩٣٠) = ٣ً مواعظ سيادة المطران يوسف الدبس (١٨٧٣ . ص ١٤٣) = ٤ً مجموع آخر من مواعظهِ (١٨٧٤ و ١٨٧٥ . ص ٤٩٣) = ٥ً تحفة الجيل في تفسير الاناجيل للخوري يوسف الياس الدبس (١٨٧٧ ص ١٠٣٤)

٣ (الكتب الفلسفيَّة واللاهوتيَّة) ١ً الادلَّة الجليَّة في سلطان الكنيسة الكاثوليكيَّة للخواجا لويس كفاكو (١٨٦٤ . ص ٢٥٨) = ٢ً البرهان السديد في حقيقة الثليث في التوحيد . لهُ

(١٨٦٩ . ص ٢٥٥) = ٣ً اثبات لاهوت يسوع المسيح للخوري بطرس الخوري (١٨٦٩) = ٤ً التحفة الغراء في دوام بتولية العذراء للمطران بولس مسعد (١٨٦٩ . ص ٦٢) = ٥ً التذكرة الرقيمة في الديانة الفائقة الطيمة للاب مارين دي بوليف اليسوعي . عرّبها المعلم اسكندر زيادة (١٨٧٣ . ص ٧٢) = ٦ً الرسوم الفلسفيّة للاب دموفكي اليسوعيّ عرّبهُ الخوري يوسف الدبس (١٨٧٧ . ص ١٤٥)

٤ (الكتب الجدليّة) ١ً رسالة الى سيادة رؤساء الطوائف الشرقية غير المتحدين مع الكنيسة الرومانيّة لاحد ابناء الكنيسة الشرقيّة (الخوري يوسف الدبس ١٨٦٩ . ص ٢١٥) = ٢ً بعض كليات في صدد جواب ميخائيل مشاقة على منشور البابا بيوس التاسع للشيخ نصر الدين بك الفضفري (١٨٧٠ . ص ٩٤) = ٣ً روح الردود في تفنيد زعم الخوري يوسف داود (١٨٧١ . ص ٢٥٢) = ٤ً كشف الستار وابلاء العذار مجاوبة على الخوري يوسف داود لبولس زين (١٨٧٢ . ص ٢٤) ٥ً برهانات قاطعة ملزمة كل بروتستاني ان يصير كاثوليكيًا وكل كاثوليكي ان يستمرّ على مذهبهِ للسيد لاقال عرّبهُ الخوري يوانس الياس الدبس (١٨٧٣ . ص ٦٥)

٥ (الكتب المدرسيّة والادبيّة والشعريّة) ١ً مراثي المرحومة كاتبة بسترس (١٨٦٣ ص ٢٦) ٢ً ترجمان المكاتبات للمعلم يوسف الشلفون (١٨٦٣ . ص ٥٢ . ثمّ كُرّر طبعهُ مع تحسينٍ سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٩) = ٣ً كتاب مستطف المستظرف جمع جرجس شاهين الابليّ (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٤ً كتاب تسلية الخواطر في لطائف النوادر جمع المعلم يوسف الشلفون (١٨٦٤ . ص ٦٠) = ٥ً كتاب نفحة الريحان للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٤ . ص ١٢٨) = ٦ً نبذة في تهذيب الاخلاق للشيخ ابي زكريّا بن عديّ (١٨٦٦ . ص ٤٤) = ٧ً ديوان السلطان خليل (١٨٦٦ . ض ٢٤) = ٨ً قصيدة الطغرائي مع شرحها (ص ٢٦) = = ٩ً منظومات الشيخ امين الجندي وقد كُرّر طبعهُ = ١٠ً ديوان الشيخ قاسم الكتبي المدعو مرآة الغربية (١٨٦٩ . ص ٧٥) ١١ً منتي المتعلم عن المعلم للخوري يوسف الدبس (١٨٦٩ . ص ١٢٨) — وعليهِ ملحقان للتمرين (١٨٧٠ . ص ٨٣) . وقد كُرّر طبعهُ (سنة ١٨٩١ . ص ١٨٧) = ١٢ً روضة الازهار في نظم الاشعار للقس انطونيوس الافنسالي الراهب اللبناني (١٨٧٠ . ص ٤٩) = ١٣ً مشهد الاحوال لفرنسيس فتح الله مرّاش (١٨٧٠ . ص ١٣٠) = ١٤ً مراثي السيد المطران طوبيا عون (١٨٧١ . ص ٧٢) = ١٥ً الذهب الابريز في مدح السلطان عبد العزيز لشاكر شقير اللبناني (١٨٧٢ . ص ٦٤) = ١٦ً الميزان المذهبّ في الشعر العربيّ للخوري ارسانيوس الفاخوري (١٨٧٣ . ص ٨٠) = ١٧ً السطة للسبعة (١٨٧٣ . ص ٧٢)

٦ (الكتب التاريخيّة والعلميّة) ١ً نبذة من تاريخ يوسيفوس اليهودي (١٨٦٦ . ض ٩٠) ٢ً راشد سوريًا للخوري انطون بولاد (١٨٦٨ . ص ٢٢٦) = ٣ً سفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (١٨٦٨ . ص ٤٢٢) = ٤ً تحفة الزمان في تاريخ الرومان للشهير دوروي (١٨٧٢)

٧ (الكتب الفقهيَّة) ١ً رسالة الاعداد الرضيَّة في المسائل الفرضيَّة للطوبرك مكسيوس مظلوم (١٨٦٣ . ص ٤٤) وطُبع ايضاً في هذه المطبعة شيء من القوانين التجاريَّة والشرعيَّة

٨ (كتب روايات ونوادر شتَّى) ١ً رواية الشاب الجاهل السكير للخواجا طنُّوس افندي الحرّ (١٨٦٣ . ص ٤٣) = ٢ً تحفة الجلَّاس في نوادر ابي نوَّاس (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٣ً رواية الذميم والذميمة للخوري انطونيوس قندلفت (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٤ً رواية بول وفيرجيني تعريب سليم صعب (١٨٦٤ . ص ٩٠) = ٥ً كتاب روضة الغزلان (١٨٦٤ . ص ٤٥) = ٦ً الرواية الادبية بالخدعة الدروجيَّة للسيد سليم افندي ابن عبد الغني رمضان (١٨٦٦ . ص ٣٢) = ٧ً رواية حفظ الوداد ليوسف الشلفون (١٨٦٦ . ص ٨٩) = ٨ً رواية الامير مونتيكريستو (١٨٦٦ . ص ٢٢١) = ٩ً رواية تحفة الرشديَّة في العلوم العربيَّة للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٨٦٧ . ص ٧٦) = ١٠ً ارزة لبنان . مجموع روايات البخيل والمغفَّل والمسود لمارون نقاش (١٨٦٩ . ص ٤١٦) = ١١ً الصدقة الغريبة في قصَّة الاخوين العجيبة تعريب جبرائيل عبد الله الحوري (١٨٧١ . ص ٨١) = ١٢ً رواية جنفياف تعريب مخائيل جهشان

وفي العدد القادم نثبت مطبوعات المطبعة العمومية الكاثوليكيَّة والمطبعة الكليَّة (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

OPUSCULES MARONITES (2e partie);
ET VIE DE SÉVÈRE PATRIARCHE D'ANTIOCHE
par F. Nau du Clergé de Paris, pp. 1900

آثار مارونية (القسم الثاني)

سبق لنا وصف هذه الآثار في المشرق (٢ : ٧١٦) . امَّا هذا القسم الثاني فيتضمَّن تتمَّة الترجمة الفرنسية للمقالات التي نشر السنة الماضية اصلها السرياني حضرة الاب نو الكاهن الفرنسي . وهي عبارة عن قطعة تاريخية لاحد قدماء الكتبة الموارنة ورد فيها شيء من اخبار الخليفة معاوية (راجع المشرق ٢ : ٢٦٥) يليها قطعة اخرى جداليَّة بين احد اليعاقبة والملكيين في شأن الزيادة التي يُلحقها السريان بالتريزاغيون اعني : « يا من صُلِبَ عنَّا » . ثمَّ يتبعها نبذة ثالثة تحتوي ترجمة ساويروس اليعقوبيّ بطريرك انطاكية الدخيل لزكريَّا الكاتب معاصره في القرن السَّادس للمسيح . وهذه الترجمة الاخيرة تفيدنا اموراً كثيرة عن احوال بيروت في ذلك العصر حين دخلها ساويروس وزكريَّا صاحب

ترجمته ليدرسا فيها الفقه. فيعلمنا الكاتب انَّ بيروت كانت وقتئذٍ زاهرة بالآداب يأتيها الدارسون من انحاء المعمور ليأخذوا عن مشاهير علمائها. وكان لها عدَّة ابنية فخيمة كالقصور والمراسح والملاعب يُجري فيها سباق العجلات والألعاب التشخيصيَّة. وكانت لغة القوم الفصيحة هي اليونانية واللغة الدارجة بين الجمهور السريانية. وكان للمدينة والٍ وتحت امرته فرقةٌ من الجند. امَّا النصرانيَّة فكان لها نفوذ عظيم في ذلك العهد فانَّ زكريَّا الكاتب يذكر لها اسقفاً اسمهُ يوحنا ذا علم وتقى شديد اليد على اهل البدع والسَّحرة. ويثني المؤلف على فضل اهل بيروت يصفهم بالوداعة وخوف الله وحبّ الصلاة والصوم. وكان عدد الكنائس وافراً من جملتها « كنيسة القيامة » و « كنيسة السيدة ام الله » و « كنيسة القديس يهوذا » اخي يعقوب البارّ الذي يُروى عنهُ انهُ استشهد في بيروت و « كنيسة الشهيدين » (حنه ضحوا وباقوم) لعلَّهُ يريد القديسين سرجيوس وباخوس وكان ذكرهما شائعاً في الشرق

وممَّا يُستفاد ايضاً من هذه الترجمة انَّ كثيرين من عبَدة الاوثان كانوا لا يزالون في بيروت يقدّمون للاصنام الضحايا الرجسة و يتعاطون الاعمال السحريَّة لترويج غايات ذميمة حتى اضطرَّ اسقف بيروت الى ان يلتجئ الى الحكومة المحلية لمعاقبة هؤلاء الاشرار

هذه بعض الافادات استخلصناها من هذا الكتاب مردّدين آيات الشكر على ناشره الفاضل

LE MONNAYAGE ALEXANDRIN d'ARADOS

par le Dr J. Rouvier, Paris, pp. 32, 1900.

نقود الاسكندر في ارواد

قد بلغ الدكتور روفيه في علم المسكوكات والنقود الشرقيَّة مقاماً رفيعاً لا يزال يزيدهُ ويُعليهِ بمقالاتٍ متواصلة كلها فوائد. واليوم اهدانا جنابهُ نسخة من مقالة نشرها في « مجلة المسكوكات » بحث فيها عن نقود الاسكندر الكبير التي ضُربت في جزيرة ارواد من سنة ٣٣٢ الى سنة ١٩٨ قبل المسيح. ولم يكتفِ الدكتور روفيه بان يصف هذه الآثار بل تعرَّض لآراء واهنة كان يستند اليها العلماء قبلهُ فنقَدها بيِّنات

لا تُبقي بعدها شكًّا في القول. فنشكر للدكتور همتهُ النـاهضة ونتمنى ان يزيدنا بعلمهِ نفعًا ل.ش

شذرات

ردّ من الشوير — اتانا من دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير ردٌّ على ما كتبناهُ في مطبعة هـذا الدير ونشرناها (المشرق ٣ : ٧٢٨) فلم نجد فيهِ ما يستحق الذكر وعدلنا عن ادراجهِ لئلّا نضيع الوقت في تفنيـد ما يظهر لنا اوضح من النهار . ولا بأس ان ينشرهُ كاتبهُ في الضياء كما تهدّدنا بذلك فاننا لسنا ممّن يخافون التهديد

سؤالنا للمنار — كنّا سألنا المنار اين وجد في نصوص الكتاب الكريم والآباء ما اثبتهُ عن انبثاق الروح القدس من الاب « وحدهُ » فكأنّهُ لم يفهم السؤال فاتانا بآيات تدلّ على انبثاق الروح القدس من الآب وهو امرٌ مسلَّم . اما لفظة « وحدهُ » فلم نجدها في هذه النصوص فان كان من الصادقين فليؤيّد قولهُ بشواهد اخرى يُحسن انتقاءها هذه المرّة فتدلُّ على ما زعم

حلّ اللغز التاريخي الوارد في العدد ١٨ ص ٨٥٩ — عرضنا في العدد ١٩ من المشرق (ص ٩١١) حلّ اللغز التاريخي الوارد في آخر كتاب يتيمة الدهر المطبوع في دمشق ونحن مع ذلك في ريبٍ من حلّنا . ثم راجعنا كتاب « تسهيل المجاز الى فنّ المعمّى والالغاز » فوجدنا ضالّتنا . لأنّ فيهِ فصلًا مطوّلًا في هذه الالغاز التاريخيّة التي نُسب اختراعُها الى العلّامة ابن كمال من ادباء القرن العاشر للهجرة . والفصل المذكور (ص٤٧—٥٥) يحتوي طرائق عديدة لهذه الالغاز التاريخيّة لا يسعنا ان نثبتها هنا . ولعلّ مصنف هذا الكتاب هو الذي عرض هذا اللغز في آخر طبعة يتيمة الدهر . فلفظة العقد تدل في هذا اللغز كما رأينا على ثلاث عشرات الشهر ثمّ على الشهور الاثني عشر ثمّ على السنين وعشرات السنين ومئات السنين والوف السنين . ولكن لا حاجة الى قسم هذه العقود الى انصاف كما ذكرنا . فقولهُ اذن انّ الكتاب نجز طبعهُ « في اواسط العقد الثاني من العقد التاسع » يريد بهِ اليوم ١٥ من شهر شوّال . وقولهُ « من العقد الثالث من العقد الاوّل » اي العام الثالث من العشر السنوات الاولى . وقولهُ اخيرًا « من العقد

الرابع من العقد الثاني » اراد به المئة الرابعة من الالف الثاني للهجرة فيكون التاريخ سنة ١٣٠٢ . وقد سرّنا انّ مجلّة المحبّة احسنت حلّ هذا اللغز

ملاحظاتنا على فصل اسرار طفولية المسيح وصباهُ سُئلنا هل الملاحظات المضافة في ذيل المشرق الى فصل اسرار طفوليّة يسوع وصباهُ (ص١٣٢ و ١٣٣) تمسّ شيئاً من الايمان او الآداب . فجوابنا انما هذه آراء ارتآها اللاهوتيون لا تمسّ الايمان والآداب بتّةً وقد اثبتناها فقط تتمّة للفائدة ليس الّا ومن لهُ إلمام في اللاهوت لا يجهل ان للعلماء في ما سوى مذاهب الايمان والآداب آراء عديدة يعرضونها على سبيل المباحثة او الترجيح فلكلّ ان يرتأي ما يراهُ اقرب الى الصواب وفقاً لقول القديس اوغسطينوس : الوحدة في عقائد الايمان . الحرّية في الامور غير الثابتة . والمحبة في كل شيء . (in fide unitas, in dubiis libertas. in omnibus caritas) . فعساذ الله اذن ان نبخس ذرّةً الكتاب الجليل الفوائد الذي اخذنا عنهُ هذا الفصل ل . ش

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب ر . عبّود من حمص ان نذكر لهُ تاريخ انتشار النصرانية في حمص واشهر اساقفتها وكنائسها القديمة . ٢ ان ندلهُ على موقع دير القديس سمعان (منسدرا) الذي يذكر المؤرخون انهُ كان بجوار حمص

آثار النصرانية في حمص ودير مار سمعان

ج نجيب على الاول انّ لنا مقالة في ما طلبهُ السائل ننشرها ان شاء الله بعد ختام مقالتنا في آثار لبنان . وعلى الثاني اننا نطلب من حضرة الكاتب ان يذكر لنا المؤرخين الذين اشار اليهم فنجيب على سؤالهِ ه . ل

س سألنا احد المشتركين : هل ان القديس اوغسطينوس من قديسي الشرق او الغرب وابن موقع مدينتي ايبونا وقرطجنّة الوارد ذكرها في ترجمتهِ وهل كان هذا القديس مزوّجاً

افادات عن القديس اوغسطينوس

ج القديس اوغسطينوس معدود من قديسي الغرب وان كانت الكنيسة الشرقيّة تعتبرهُ كاحد اولياء الله المبرّزين كما اثبت ذلك البشير والمنار معاً . وقد اشتهر في افريقية وصار اسقفاً على مدينة ايبونا وتدعى اليوم بونة من بلاد الجزائر . امّا قرطجنّة فمن بلاد

تونس لم يبقَ منها غير اخربتها الجليلة. — ثمَّ ان القديس اوغسطينوس قبل نبذهِ شيعة المانويين اولد ابناً فقط دعاهُ اديودات ثمَّ تعمَّد وبلغ من القداسة مقاماً عظيماً

س هل للُّغة العربية اعصار مختلفة من جهة الانشاء واليان كاللغة الفرنسية وما هي تقاسيم هذه الاعصار واشهر أُدبائها

اعصار اللغة العربية

ج ليس للُّغة العربية عصرٌ معلوم بلغت فيها اللغة اوج كمالها عند اليونان واللاتين والفرنسويين. واذا قابلنا بين كتابات القرن الاول للهجرة والقرن الخامس والسادس لا نكاد نرى في الانشاء اختلافاً يُذكر. وما يمكن قولهُ اجمالاً ان اللغة كانت في الجاهليَّة واوائل الاسلام اشدّ ضبطاً وافصح لساناً واسلم ذوقاً منها في الاعصار التالية. لاسيما الشعر فان الشعر الجاهليّ ابلغ من شعر الشعراء بعد الجاهلية كما يقرُّ في ذلك جهابذة اللغة. وهذا السؤال يقتضي بحثاً مطوَّلاً نعود اليهِ ان شاء الله

س سألنا ل. ل. احد أُدباء طرابلس ما معنى قول الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (٧: ٣) عن ملكيصادق انَّهُ ليس لهُ ابٌ ولا امٌّ ولا نسب »

نسب ملكيصادق

ج يريد الرسول ان الكتاب المقدَّس الذي اورد في سفر التكوين نسل الاباء الاوَّلين لم يذكر شيئاً عن نسب ملكيصادق مع سموّ مرتبتهِ فصار هذا الكاهن رمزاً خصوصياً للسيد المسيح لانَّ كهنوتهُ ابدي لا علاقة لهُ مع اللحم والدم (راجع شرح هذه الآية في آخر الكتاب المقدس المطبوع في مطبعتنا)

س سألنا جناب الاديب اسكندر اسطفان مزرعاني من البترون كيف امكن الحمامة التي اطلقها نوح (تكوين ٨: ١١) ان تأتي بغصن زيتون اخضر مع ان الطوفان كان ذهب بكل شيء وان قيل انهُ لم يذهب بالاشجار فكيف بقي الشجر اخضر في هذه المدَّة

حمامة نوح وغصن الزيتون

ج ليست الزيتونة كبقيَّة الاشجار فان ارباب الطبيعة من الاقدمين والمحدثين مما اثبتوا بالتجربة انَّها تعيش في الماء وتبقى اغصانها فيهِ زمناً طويلاً خضراء نضرةً ل. ش

* اصلاح بعض اغلاط طبعية * جاء في الصفحة ٨٠٣ س ٥ « منتاخ » والصواب « منتاح » = ص ٨٤٨ س ١٩ « مناقضةً » والصواب « مناقضةٌ » = ص ٨٥٩ س ٣٠ « المطبعة الحنفية » والصواب « الحُنفية » = ص ٩٠٤ س ٣ « لا شيء في العالم عن حكم الله » والصواب « يخرج عن حكم الله » = ص ٩٣٣ س ٢٥ « انَّ الطفل يسوع سائرًا » والصواب « سائرٌ » = ص ٩٥٦ س ٨ و ١٢ « الماسونين » والصواب « الماسونيين » = ص ٩٥٩ س ١٠ «Domins» والصواب «Domino»

قائمة للآثار الجوّية من ٩ الى ٢٢ تشرين الاول ١٩٠٠

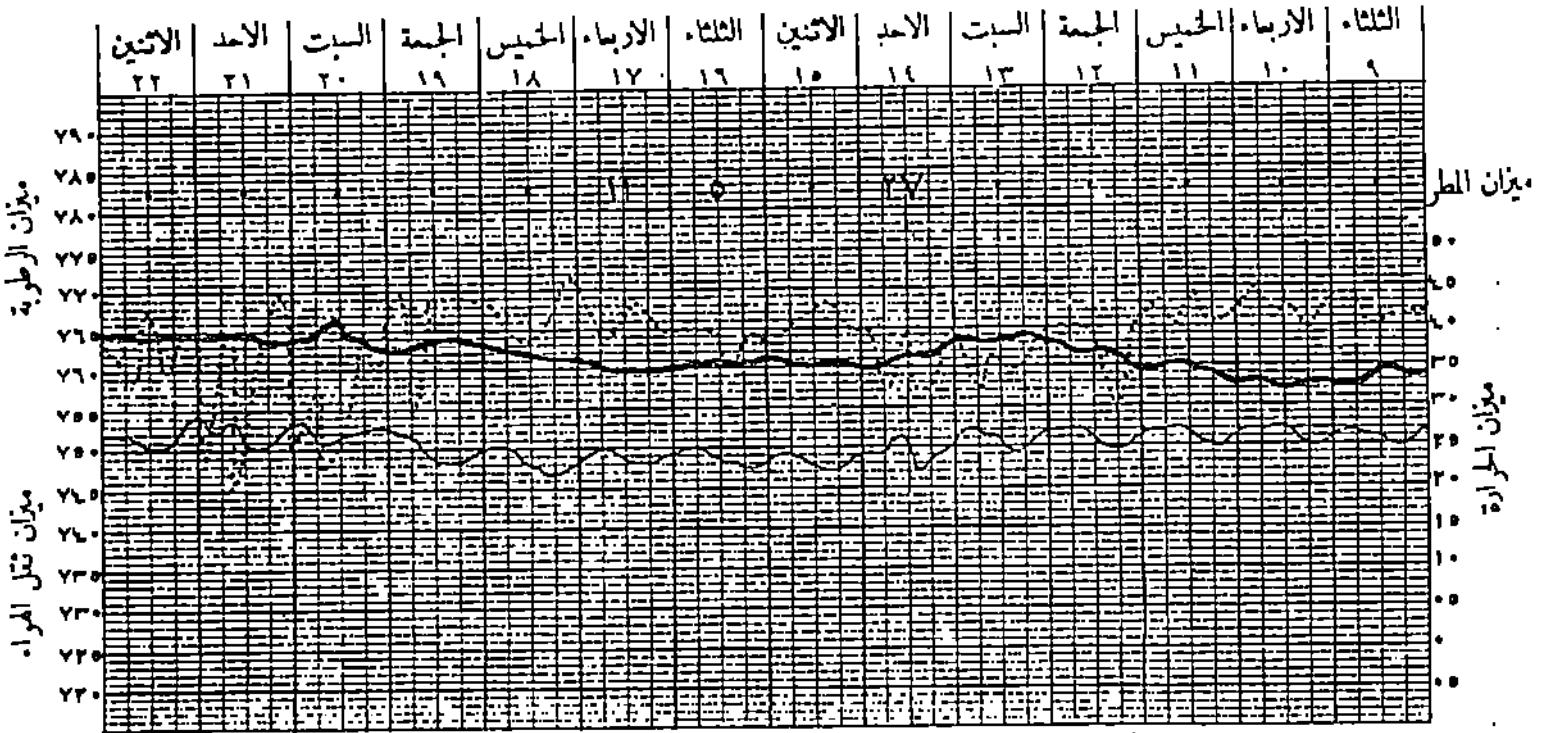

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمِلّمترات وعُشر المِلّمترات